الفهرس

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز الدكتور أحمد أمين بك — الإدارة — رئيس التحرير المسئول محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٥٩٩ — الاثنين ٤ من رمضان سنة ١٣٦٩ — ١٩ من يونيه سنة ١٩٥٠ — السنة الثانية عشرة

البترول والشرق العربى

للأستاذ أحمد طه السنوسى

... الشرق العربى مورد هام من موارد البترول ، وأهميته الكبرى ترجع إلى حد بعيد إلى هذا البترول الذى أضحى محور الحياة الاقتصادية ، وبالتالى ترتكز عليه الحالة السياسية والاجتماعية . وإلى البترول يرجع السر فى تكالب المصالح الغربية على الشرق العربى ، كما يرجع السر فى تنافس تلك المصالح الدولية وتسابقها إلى حيازة قصب السبق فى منابع ذلك الفيض البترولى الذى تقوم عليه الحضارة السلمية ، كما تقوم عليه الحضارة الحربية ..

ومن مناطقه الهامة فى هذا الشرق مناطق الخليج العربى (الفارسى سابقاً) ، وهى الكويت والبحرين ، كما يوجد فى العراق ومملكة آل سعود ومشيخة قطر وغيرها ، ومنذ شهور اكتشف فى (شبوة) فى جنوب الجزيرة العربية ، وكان لهذا الاكتشاف أهمية بالغة فى محور الحياة الاقتصادية فى هذا الجنوب ، إذ اهتمت له حكومات حضرموت وعدن واليمن بالغ الاهتمام ، وانتهى الأمر بتولى شركة أمريكية أمر بترول شبوه التى ينتظر أن يعود على جنوب الجزيرة كثيراً من الخيرات والبركات ..

والملحوظ أن منابع البترول تظهر فى الشرق العربى فى المناطق الجرداء ، فيضيف ذلك مورداً هاماً وأهمية بالغة للحياة فى هذا الشرق ؛ إذ أن أكثر البلاد التى يوجد فى أرضها فقيرة من الناحية الزراعية أو تكاد ، وهذا المورد يشجع فيها العمل ويعمل فيها على إصلاح أحوالها الاقتصادية ورفع مستواها الأدبى والاجتماعى .

... ومنذ زمن بحث الجيولوجيون الأوربيون أرض البحرين ، ثم يئسوا بعد أن استيقنوا من خلو صحاريها وأراضيها الرملية من النفط . وقد تسلمت إنجلترا منهم هذا القرار الحاسم واعتقدت معهم ألا سبيل لوجود البترول فى جزر البحرين ؛ فلما أراد بعض العمليين أن يلفتوا نظر بريطانيا إلى أن تلك الأراضى العربية البحرينية يوجد بها كنز عظيم من البترول ، إذا تم البحث والتنقيب على نطاق واسع ، لم يجدوا أذناً صاغية ؛ لأن بريطانيا كانت قد صدقت ما جاء به الجيولوجيون من خلو البحرين من البترول ، فلم تعر هذه الأقوال التفاتاً ؛ بيد أن (الميجر فرانك هومز) أعد عدته وقام يواصل أبحاثه وتنقيباته فى جزر البحرين بعد أن رحل إليها يحدوه الأمل فى الثروة والكنز المأمول ، وقد لاقى فى ذلك صعوبات كثيرة فلم يحقق مشروعاته التى كان يحلم بها ، لولا أنه دوّن كل ما وصل إليه من أبحاث وتقارير ، وآب إلى لندرة واتجه صوب

الجيولوجيين بطرق أبوابهم ليؤكد لهم وجود النفط في تلك البلاد العربية ، ولكن جهوده ذهبت مع الرياح تتناقلها من فضاء إلى فضاء ...

وسعت بريطانيا في منح الامتيازات لأمريكا التي قام بها (المستر فرانك هولمز) وصدق ما ذهب إليه فراسته ، ثم تحول الامتياز من شركة المستر فرانك هولمز إلى شركة (ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا) ، ولاقت الشركة كثيراً من المتاعب في الحصول على البترول وتتالت عليها الأرباح من كل جانب ، فلفتت عندها نظر بريطانيا فأسقط في يدها وتحسرت واتهمت نفسها بالتبذير ، حيث رأت أنها كانت سخية في منح الامتيازات للشركات الأمريكية طبقاً لتسليمها بما ذهب إليه الجيولوجيون ، وتبين لها حينئذ خطأ زعمهم ! أما فرانك هولمز ، فلم يخرج من المعركة خاسراً ، بل قد امتلأت جيوبه أيضاً بما بقي في جيبه وما تخفي الأعوام بظل ورسم الخطط والأخيلة النابعة من أحلامه وفي نفسه ...

ولقد قامت في البحرين معامل كبيرة لتكرير البترول وتصفيته وعظم شأنها مدة خط بترول من المملكة العربية السعودية إليها للتكرير ، وقد استطاعت [illegible] ما يربو على ثلاثين ألف برميل من النفط في اليوم الواحد .

والكويت من أهم مصادر البترول في الشرق العربي ، ويهتم بها الإنجليز من هذه الناحية كثيراً ، كما يهتمون بالبحرين وغيرها ، وأعظم منطقة لها فيها هي منطقة (البرقان) ، وتعتبر أعظم بقعة لإنتاج البترول في جميع أنحاء المعمورة ، وكان اكتشافها في عام ١٩٣٨ ، وفي منتصف صيف ١٩٤٦ أنشئ خط أنابيب منها ، كما أنشئ مركز للتحميل والشحن في (الفحيحيل) ، وعملت تسهيلات شتى للتخزين في (الأحمدي) . ولقد أخذ معمل التكرير في الفحيحيل على عاتقه تموين الكويت بالبنزين والكيروسين وما إلى ذلك ... والفحيحيل ميناء الشحن البترولي في الكويت الذي يأخذ من خزانات النفط في البرقان ، أما الأحمدي فهي المدينة الرئيسية للبترول في الكويت العربية .

وإنتاج الكويت من البترول يربو على أربعين ألف برميل في اليوم الواحد ، وننتظر كما حقق الخبراء أن يصل إلى مائة وعشرين ألف برميل يومياً ، ثم إلى أبعد من ذلك كما يدعو لوجود آثار حديثة مع دوام البحث والتنقيب في تلك الأراضي العامرة ، وكان (المستر جايلز — عضو البعثة الأمريكية الفنية) قد قدر وجود البترول في أرض الكويت في حدود خمسة ملايين برميل ، ومما يدلنا على تقدم الإنتاج البترولي فيها أنه كان في عام ١٩٤٧ ثمانين ألف طن وفي عام ١٩٤٨ (٦٫١٢٩٫٥٧٧) وفي العام الماضي ١٩٤٩ حوالي ١٢٫١٨٣٫٩٩٩ طن .

ويداعب شركة البترول اليوم أمل في العثور على البترول على أعماق متباينة ، مما زاد من أملها في الحصول على كميات عظيمة واكتشافات جديدة وربح وافر . على أن (شركة دارسي) اشترت لها نصف حقوق امتيازات شركة الزيت الكويتية ، كما توجد أيضاً شركة مباحث الخليج الأمريكية .

... ويقترح صديقنا الكويتي الأستاذ الشاب عبد العزيز حسين في المتواليين في الكويت إنشاء معهد البترول هناك ، دعاه إلى ذلك اعتماد شركة البترول في الكويت على العمال الكويتيين بالرغم من الاهتمام بالعمال الأجانب ، حتى من غير الأمريكيين والإنجليز أصحاب الامتياز ، وبالرغم من الزيادة [illegible] في إنتاج البترول . كما دعاه إلى ذلك [illegible] الكويت وشركة أمبرال (شركة [illegible]) إلى الصليبي والغرباء من الكويتيين ! تضيف إلى ذلك رغبة جياشة في فتح باب نافع جديد لأبناء الكويت وفي العمل على رفع شأن الكويتيين ومراكزهم في شركات البترول التي تحتكر بترول بلادهم ، وتمرينهم على العمل والإدارة لمورد هام من موارد الحياة الاقتصادية في أراضيهم . ويقول : إنه (يمكن أن يكون مركز هذا المعهد في الأحمدي ، وذلك بالقرب من عمليات البترول المختلفة — حفر واستخراج ونقل وتكرير وشحن وإدارة وتنظيم العمل — فتمرن الطلبة عملياً ونظرياً بالقرب من مراكز الإنتاج ، ولا بد من الدروس النظرية كاللغة الإنجليزية والآلة الكاتبة وبعض معلومات نظرية عن البترول وشركاته والإدارة وغيرها) .

... ويداعب اليوم جنوب الجزيرة العربية أمل كبير في أن يكون مورد البترول في شبوة سبيلاً لازدهار حضرموت وما جاورها من البلاد العربية ، وخاصة بعد ازدهار ميناء

السكلا تبعاً لإنتاج شبوه ، وشبوه هذه في حضرموت بلد فقير ، وهي تقع على خط عرض خمس عشرة ونصف درجة وعلى خط طول سبع وأربعين درجة ، ويذهب المستر هارولد إنجرامس (Harold Ingrams) في كتابه عن (Arabia and the isles) أن شبوه لها أهمية عملية خاصة بمنجم الملح الذي فيها ، كما يذهب إلى أن شبام قد بذت أهميتها أهمية شبوه ، نظراً لركود الحياة في هذه الأخيرة ، وأهمية شبوه كانت تتوقف إلى حد بعيد على أهمية التوزيع التجاري ، ولكن هذه الأهمية فقدت حينما انتقل مركز التوزيع التجاري إلى طريق البحر . على أننا نجد أن شبوه قد خلت من الحركة التجارية تماماً في هذه الأيام الحاضرة . ويذهب المستر إنجرامس إلى أن السبب في ترحال الأهالي من شبوه إلى غيرها من البلدان كشبام هو الرمال الغازية ثم تدهور الحركة الاقتصادية فيها . على أن لمركز شبوه تاريخ كبير إذا ما علمنا أنها تقع في شرق (مأرب) وفيها سد مأرب العجيب الذي يدور حوله محور تاريخ كبير ، كما يدور حول البلد الذي قام بين الهراتية ، أما من جهة الطرق البرية ، فقد كان لشبوه شهرة كبيرة بسبب طريق القوافل فيها ، وهو ذلك الذي ذكرته ... (الآن السيدة فريا ستارك) Miss Freya Stark في بعض كتبها الضخمة عن حضرموت التي نالت بها الشهرة الكبرى لدى البريطانيين ولدى أبناء جنوب الجزيرة من العرب وغيرهم ؛ فإذا ما علمنا كل هذا وعلمنا أيضاً أن البلدان والمدن والقرى التي تحف بشبوه في جنوب شبه الجزيرة فقيرة في أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ، أدركنا أن شبوه وبترولها سيكون له الأهمية الكبرى واليد الطولى في تحويل جزء كبير من هذا الجنوب إلى جنة زاهرة ورفعه إلى مرتبة عظيمة والعمل على إشراكه ومساهمته في المدنية الحديثة واقتباسه منها ما ينهض به وما يرفع من شأنه .

وقد حصلت شركة نفط منذ ما يربو على عشرة أعوام على امتياز للبحث والتنقيب في حضرموت ، وقد استطاع المنقبون أن يكشفوا بعض آبار البترول في المنطقة الشرقية التي تقع بين حدود حضرموت القعيطية وبين بلاد المهرة .

وإذا أستطيع الآن أن أقرن مسألة البترول وأهميته في شبوه وبالتالي في جنوب شبه الجزيرة ، بمسألة الأبحاث الأثرية وثروتها ومسألة التاريخ وأهميته ؛ ذلك أن شبوه بلد به آثار غنية ونادرة ، كل منها يحتاج إلى درس وتنقيب واهتمام ، ولكن إلى اليوم نراها مهملة لا ينظر إليها ، وذلك كشأن مناطق الحضرمية في جنوب الجزيرة ؛ فهناك مناطق كثيرة غنية بآثارها المطمورة من عهد الحميريين والسبئيين وغيرهم ، كشف بعض المستشرقين قليلا جداً منها ، والكثير منها باق على حاله إلى اليوم لا ينظر إليه ، بسبب الخرافات المحلية والإبهام الذي خطته يد الأيام على بقاعها ، وبسبب عدم وجود التشجيع والشجاعة التي تكفل التقدم في هذا التيار . ومما لا ريب فيه أن ازدهار شبوه ببترولها سيكون له كل الأثر في تطلع الأنظار إليها وإلى آثارها وآثار ما جاورها من البلدان ، فضلا عن أن ذلك سيكون له أعمق الأثر في مركز (المكلا) العاصمة الحضرمية وفي رفعها إلى ذروة المواني العظيمة ، مما يؤثر بالتالي في حياة الحضارمة وأبناء الجنوب العربي .

أما البترول في (قطر) ، فهو يوجد في مكان يدعى (دخان) . ويقال إن نسبة النفط فيه هي ٠,٧٪ ، وهي نسبة عالية إذا قيست بغيرها من النسب العربية . ولا شك أن تقدم إنتاج مشيخة قطر من البترول والعمل على تنميته وتنظيمه مما يبعث على الأمل برفع هذه المشيخة العربية إلى مقام مرتفع من النضج المدني والنضج الاقتصادي والاجتماعي فيها ، وخاصة إذا علمنا أن شركة البترول قد عملت على إنشاء ميناء كبير فيها يدعى ميناء (أم سعيد) ، وقد بدأ فعلاً التصدير من هذا الميناء الجديد في خواتيم العام الماضي عام ١٩٤٩ من مركز البترول في (دخان) . ومما لو تعلمنا في هذه المشيخة العربية أنها بلد صحراوي جاف تحاصره من القلود ، أما أهاليها فيعيش سكانها على بعض الحرف الساذجة كالتجارة وصيد الأسماك وتربية الجمال . أما وقد ارتقى إنتاج الزيت فيها فإن السكان أخذوا في العمل والنشاط بعد ذلك التحول ، وفتح أمامهم مجال واسع للتقدم والاشتغال . وأما امتياز البترول في قطر ، فقد حظيت به شركة البترول الإنجليزية الإيرانية المتحدة من شيخ قطر السابق الشيخ عبد الله .

والآن نرى أن الاهتمام البالغ بالشرق الأوسط والشرق العربي قد ازداد تبعاً للبترول ذلك الذهب الأسود ، وأن

إلى أى الدول اتجه محمد على

عند النقل عن الغرب

للدكتور جمال الدين الشيال

بينا في حديثنا السابق أن محمد على اتجه إلى أوربا والأوربيين عند القيام بإصلاحاته المختلفة ، وسنحاول اليوم في حديثنا هـذا أن نبين إلى أى دول أوربا اتجه محمد على وبأيها اشتغل ، لما لذلك من أثر واضح في صبغ ثقافة مصر بصبغة خاصة طوال القرن التاسع عشر :

كانت دول أوربا صاحبة الصدارة في العصور الوسطى المتأخرة ومطلع العصر الحديث ، هى : انجلترا وفرنسا وجمهوريات إيطاليا :

أما انجلترا فلم تفكر يوماً — حتى أواخر القرن الثامن عشر — في أن تكون لها بمصر علاقة ما ، وخاصة من الناحية السياسية ، وذلك إذا استثنينا الدور الذى لعبه الملك « ريتشارد » (قلب الأسد) في الحروب الصليبية وما كان بينه وبين سلطان مصر وقتذاك صلاح الدين الأيوبى وأخيه الملك العادل أبى بكر من علاقات صداقة كانت توحى بها روح العصر والمثل العليا لنظام الفروسية السائد في تلك الأيام ، وما كان يتمتع به كل من صلاح الدين و « ريكاردوس » من صفات البطولة الصادقة .

وبانتهاء تلك الحملة الصليبية انقطعت العلاقات بين مصر وانجلترا ، حتى إذا كان النصف الثانى من القرن الثامن عشر سمعنا عن مساع كثيرة يبذلها الانجليز في مصر للعودة إلى استعمال الطريق البرى القديم عبر مصر والبحر الأحمر للوصول إلى الهند ، لما يمتاز به هذا الطريق من قصر وسرعة التناسب ومبشرات الرغبة في هذه السرعة التى ستكون أهم مميزات القرن التاسع عشر ، وخاصة بعد الانقلاب الصناعى .

وأحست فرنسا في نفس الوقت أهمية مصر من هذه الناحية ، وحدث التنافس الشديد مع مولد القرن التاسع عشر بين هاتين الدولتين لامتلاك مصر ، وظهرت أروع صور هذه المنافسة في النضال الذى انتهى بإخراج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٠١ ، واشتراك الجنود الانجليزية في مصر بعد خروج الفرنسيين حتى اضطرت إلى الجلاء بعد قليل ، ثم عاودت محاولتها مرة أخرى سنة ١٨٠٧ فانتهت هذه المحاولة بالخيبة .

فهل نستطيع أن نقول إن محمد على يتجه في محاولاته للإصلاح إلى انجلترا ، أو أن يستعين بالانجليز ولم يكن في مصر منهم جاليات كبيرة ؟!

خريطة توزيع هذا الشعب في العالم قد اختلفت وقامت فيها خطوط رئيسية هامة لم تكن مرسومة على صفحتها قبل الحرب ، مما يدعو إلى القول بأن البترول قد صار محققاً ، بل حقيقة واقعة أنه مصدر كبير من مصادر الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في بلدان العالم العربى ، مما يضطرني إلى التنبيه إلى أهميته وتحويل الأنظار كبيرها وصغيرها إليه واتخاذه سلاحاً رهيباً هاماً من الأسلحة السياسية ، فضلا عن أنه السلاح الحاد في عالم الاقتصاد .

... إن العالم العربى اليوم وهو قابع في شرقه في أمس الحاجة إلى كل سلاح ؛ إن كان قديماً جدده وقوى بنيانه ، وإن كان جديداً تعهده بالرعاية والتشييد ؛ إن كان مادياً التفت إليه وقوى دعائمه ، وإن كان معنوياً مهد سبيله وحث بواعثه ، ليتعاون القديم والحديث من الأسلحة من رمح ومدفع وسهم وذرة ، وليتلاءم المادى مع المعنوى من ثروة وزروع وإنتاج وشعور ، في سبيل إقامة بناء سياسى عظيم يوجه سياسة الشرق العربى إلى سبيل الرشاد والسداد والصواب .

أحمد طه الشرمى

فإذا تركنا انجلترا إلى فرنسا لاحظنا أن محمد علي قد اشترك في المعارك التي انتهت بإخراجهم من مصر ، وقد خلصت له مصر بعد جهودهم مباشرة ، فهو يخشى تماماً ما تركوا في مصر من آثار ، ولكن لعله كان لا يزال يتخوف منهم ! ثم إن عدد الجالية الفرنسية في مصر قد نقص نقصاً كبيراً بعد خروج الحملة . فلم يكن من الطبيعي أن يتجه محمد علي أول ما يتجه إلى فرنسا ، وإن كان سيتجه إليها بعد قليل لعوامل أخرى .

انصرف محمد علي عن الاتجاه إلى هاتين الدولتين والاستعانة برجالهما أول الأمر — برغم ما كان لهما من زعامة على دول الغرب وقتذاك — واتجه أول ما اتجه إلى إيطاليا والإيطاليين ، ولذلك أسباب :

فقد ظلت العلاقات التجارية بين مصر وجمهوريات إيطاليا متينة وثيقة طوال العصور الوسطى ، وكان الإيطاليون حتى أوائل عهد محمد علي جاليات كثيرة العدد في ثغور مصر والشام ، كما كانت اللغة الإيطالية هي اللغة الأجنبية الأكثر شيوعاً وتداولاً ، بل لقد كانت لغة المعاملات الرسمية حتى بين القنصليات غير الإيطالية ، وكان هؤلاء الإيطاليون يعرفون العربية ، كما كان عامة الأهالي في الثغور المصرية — وخاصة الإسكندرية — يتكلمون الإيطالية .

فلما انتهت مذبحة القلعة ، وأصبح أولاد المماليك وغلمانهم ملكاً لمحمد علي ، بدأ الخطوة الأولى لإصلاح الجيش ، فأنشأ لهؤلاء الغلمان مدرسة في القلعة على نمط مدارس المماليك القديمة ، غير أنه كان يدرس فيها إلى جانب الفنون الحربية اللغات العربية والتركية والإيطالية ؛ فاللغة الإيطالية هي أول لغة أوروبية تقرر تدريسها في مدارس محمد علي ، وستكون للغة الإيطالية مكانتها في المدارس التي تنشأ بعد ذلك في عصر محمد علي ، فقد تقرر تدريسها في مدرستي بولاق وقصر العيني ، ثم في مدرسة المهندسخانة ببولاق وفي بعض المدارس الحربية في سنيها الأولى .

وعندما فكر محمد علي في إرسال البعوث إلى أوروبا كانت أولى بعثاته في سنة ١٨٠٩ وثانيتها في سنة ١٨١٣ إلى مدن إيطاليا المختلفة : ليفورنو وميلانو وفلورنسا وروما ، وذلك لدراسة فن سبك الحروف والطباعة ، وبعض الفنون العسكرية وبناء السفن ونظم الحكم .

« ومن إيطاليا استدعى محمد علي المعلمين للمدارس والضباط للجيش ، واشترى آلات الطباعة والكتب التي دفعها إلى المترجمين لينقلوها إلى التركية أو العربية » .

وقد ذكر كلوت بك في تقريره عن الطب في مصر الذي قدمه في ديسمبر سنة ١٨٣٧ للدكتور بورنج — مبعوث الحكومة الانجليزية في مصر — أنه بدأ عمله في مصر والإدارة الصحية يشرف عليها — في معظمها — الإيطاليون ، ثم ذكر في إحصائية مفيدة أن مائة وخمسة من الأطباء والصيادلة في الجيش والمستشفيات العسكرية كانوا من الإيطاليين ، واثنين وثلاثين من الفرنسيين ، وستة من الانجليز ، وخمسة من الألمان ، وأربعة من البولنديين ، واثنين من الأسبان .

وعندما استقدم محمد علي بعثة حربية من فرنسا للاشتراك في تنظيم جيشه كتب الجنرال بواييه (Boyer) رئيس هذه البعثة إلى صديقه المسيو جومار — عضو المجمع العلمي الفرنسي والمشرف على بعثات محمد علي إلى فرنسا فيما بعد — يقول « ... أن إدارة الشئون كلها في مصر في أيدي الإيطاليين واللغة الفرنسية في المحل الثاني ، ولا يعلمون في المدارس الحربية سوى اللغة الإيطالية ، ولا يترجمون سوى الكتب البسيطة التي وضعها مؤلفون من ذلك الشعب ، ومدرسو الرياضيات واللغات والعلوم والفنون وغيرها كلهم إيطاليون ، وفي كل عام يرحل إلى أوروبا ثلاثون أو أربعون شاباً ليتعلموا علومها وفنونها ، وإلى (بيزة) يتجهون حتى في دراسة الفنون الحربية ، ويظهر الوالي دهشته من هذا التفوق الإيطالي ، وإنهم ليثنون في نغمة الخائف من ناحية الفرنسيين (الملاحدين) ، أما من ناحية الإيطاليين فلا يجب أن نخشى شيئاً ... » .

ومن الفقرة الأخيرة من هذا الاقتباس نعرف مبلغ الغيرة التي كان يحسها الفرنسيون من تفوق الإيطاليين ونفوذهم في حكومة محمد علي وفي إدارته وجيشه ومدارسه ؛ ولهذا نلاحظ أن الفرنسيين سيبذلون كل الجهود للقضاء على هذا النفوذ لكي تكون لهم ولغتهم الصدارة بين الأجانب واللغات الأجنبية في مصر ، وقد ساعدهم على ذلك أن الظروف

الأولى من الإيطاليين لم تكن من العنصر الممتاز ، بل كان معظمهم من تلك الفئة من الأطباء الذين وصفهم (ادوار جوان) بأنهم كانوا من «أفاق اليونان والطليان» وذلك في الوقت الذي ترك فيه الفرنسيون القلائل الذين التحقوا بخدمة محمد علي ، وخاصة (الكولونل سيف) و (كلوت بك) ، أطيب الأثر وأجمله .

كذلك قد يرجع بعض الفضل إلى أن فرنسا كانت تبعث — برجالها وعلمائها وضباطها — إلى مصر وإلى محمد علي سعياً ، فقد كانت تعتبره منقذاً ومتمماً لما بدأه علماء الحملة من أبحاث ، ولما بدأته الحملة نفسها من إصلاحات .

وأخيراً فقد كان لمركز فرنسا الدولي الممتاز حينذاك — كقوة من دول البحر الأبيض المتوسط — أثر كبير في إشاحة محمد علي وجهه عن إيطاليا والإيطاليين ، واتجاهه في سياسته الإصلاحية نحو فرنسا والفرنسيين .

تمكنت فرنسا في نهاية هذه المنافسة ، وأقصيت اللغة الإيطالية شيئاً فشيئاً من المدارس المصرية ، واستغنى عن الضباط والمدرسين الإيطاليين ، واستعيض منهم بضباط ومدرسين فرنسيين ، وعدل عن ترجمة الكتب الإيطالية ، فأصبحت الترجمة عن الكتب الفرنسية ، وأكثر البعوث الإيطالية ، فغدت ترسل — في معظمها — إلى فرنسا ؛ وفي كلمة واحدة لقد تحولت مصر عن النقل من الثقافة الإيطالية إلى النقل من الثقافة الفرنسية ، وسيكون لهذا أثره الملحوظ ؛ فستظل مصر طول القرن التاسع عشر مصطبغة بالصبغة الفرنسية في شتى نواحيها الفكرية ؛ غير أنه لزام علينا أن نشير في ختام الكلام عن هذا الموضوع إلى أن محمد علي لم يكن أسيراً لحبه لفرنسا والثقافة الفرنسية وحدها ، بل كان يحب دائماً أن يستعين برجال كل دولة امتازت في ناحية من نواحي العلم والعرفان ، فكانت من بعثاته بعثات أرسلت للنمسا وانجلترا ، كما كان يدير بعض مدارسه ويعلم فيها أفراد من الإسبانيين والانجليز وغيرهم .

دكتور
جمال الدين الشيال

الفكاهة في الأدب العربي

— ١ —

الدكتور شوقي ضيف

كلمة الفكاهة — برغم تداولها — من الكلمات التي يصعب تعريفها ، ومن الممكن أن نقول إنها الحالة العقلية التي تجعل صاحبها يثير الضحك والسرور . وقد كثرت الفكاهة في الآداب العالمية كلها ، وأصبحت تحتل اليوم مكاناً رفيعاً وسط الفنون الأدبية ، بل الفنون العامة ، فاستخدمها الرسامون في تصويرهم الكاريكاتوري ، واستخدمها السياسيون والصحفيون في نكتهم التي لا تنفد ، وامتد ذلك إلى صحافتنا الحديثة ، حتى خُصصت لها بعض المجلات الهزلية .

ومن يرجع إلى الأدب العربي يجده زاخراً بصنوف الفكاهة وألوانها المختلفة ، فكتبه العامة تعرض علينا دائماً دعابات ومُلَحاً ونوادر ونكتاً . وإذا كانت الصحافة الحديثة قد خصصت بعض مجلاتها للفكاهة ، فكذلك خصصت بعض كتب الأدب العربي بها ، وامتلأت بنُتَفها ومضحكاتها . فالفكاهة عند العرب فرع مهم من فروع أدبهم ، وقد بدأ هذا الفرع في الخروج من الشجرة الكبيرة لهذا الأدب منذ أن تكامل المجتمع العربي وأخذ شكل المدينة ، أي منذ أن مصّر العرب الأمصار ووجدت الجماعة العربية بالمعنى الكامل .

وطبيعي أن لا تكون فكاهة في الأدب الجاهلي إلا فكاهة قليلة باهتة ، لأن حياة البدو حياة فردية ، والفكاهة تحتاج دائماً جماعة حتى يوجد المضحك والضاحكون ، فالرجل الذي يعيش وحده أو في شبه انعزال لا يستطيع أن يكون فكهاً . واستمع إلى نكتة بين جماعة يجلسون بالقرب منك ، فإنها لا تضحكك كما أضحكتهم ، لأنك لست من الجماعة ، ولو كنت منهم لأغرقت في الضحك مثلهم ، فالفكاهة لا تتم ، ولا تصبح فناً بالمعنى الصحيح إلا في إطار الجماعة ومجتمع المدينة بنوع خاص .

وأول فنان اشتهر بالفكاهة في عصور العرب الأولى « أشعب » مضحك أهل المدينة ، وكانت له قدرة على إضحاك الناس بإشاراته وحركاته وبكلامه وعباراته ، فيروى أنه رأى فكاهياً جديداً نبت في المدينة يسمى الغاضري ، وعلم أشعب أن الناس يعجبون بنوادره ، وغرائبه ، حتى عرف أنه في أحد مجالسهم ، فصار إليه ، ثم قال له : بلغني أنك تموت تحوي ، وتفلت مني من كلا بأفقي ، فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل ، ثم غضّن وجهه ، وعرضه وشنّجه ، حتى صار عرضه أكثر من طوله ، وصار في هيئة لم يره أحد بها ، ثم أرسل وجهه ، وقال له : افعل هكذا ، وطول وجهه ، حتى كاد ذقنه يجوز صدره ، ثم نزع ثيابه وتحادب ، فصار في ظهره حدبة كسنام البعير ، وطال طوله مقدار شبر أو أكثر ، ثم قام فتطاول وتمدد حتى صار أطول ما يكون من الرجال ، فضحك الناس حتى أغمي عليهم . ومن حقهم أن يضحكوا ويغرقوا في الضحك ، فأمامهم أشعب يتحول إلى ما يشبه الآلة المطاوعة بما يعطي عرضه وما يعطي طوله ، وما يدخل على وجهه من غضون ، ثم هذا التحادب الذي يصطنع جسمه فيه ، والذي يجعل الناس يظنون أن الحدب شيء يمكن صنعه ، أو تقليده ، وإن كل تقليد على هذا النحو لقبيح في الإنسان ليستخرج منا الضحك ، إذ يجعلنا في شبه ذهول نفقد فيه منطقنا القديم للشخص دون وعي أو شعور ، وأي فرق الآن بين أشعب والصور الكاريكاتورية التي تضحكنا بما نرى فيها من تشوُّه واعوجاج في الخلق ؟!

ولم يكن أشعب يضحك أهل المدينة بإشاراته وحركاته وتخيلاته الكاريكاتورية فحسب ، بل كان يضحكهم أيضاً بعباراته ونكته التي أمدت كتب الأدب العربي منها طرفاً ؛ فمن ذلك أن عائشة بنت عثمان بن عفان مولاته دفعته في أول حياته إلى البزازين وهم تجار الأقمشة ، ليحسن صنعتهم ،

فسكت عندهم حولا، فسألوه بعد الحول عما تعلم، فقال لهم: تعلمت نصف العمل وبقي النصف، قالوا: وما تعلمت؟ فقال: تعلمت النشر وبقي الطي. وقال له جماعة: ألا تحفظ أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث بها؟ فقال: أنا أعلم الناس بالحديث. فقالوا: حدثنا، فقال: حدثني عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة، ثم سكت، فقالوا له: هات ما الخلتان؟ قال: نسي عكرمة إحداهما، ونسيت أنا الأخرى. وقيل له: ويحك يا أشعب! أبوك صاحب لحية كبيرة وأنت صاحب لحية صغيرة، فإلى من خرجت تشبه؟ قال: إلى أمي. ودعا حلاقاً يحلق له لحيته فقال له: أنفخ شدقيك حتى أتمكن منك، فقال له: أمرتك أن تحلق لحيتي أو تعلمني الزمر؟

وهكذا كان أشعب يطرف أهل المدينة بنكته ونوادره، فهو أراجوزهم، بل هو أراجوز الأدب العربي الأول الذي كان أهل المدينة يحركون خيوطه حسب رغباتهم. وكان قلما يعقد مجلس من مجالسهم إلا ويحضره أشعب، وكذلك قلما تصنع مائدة إلا ويدعى إليها ليضحك المدعوين. ويروى أنه أكل يوما على مائدة نوعاً من الحلوى [illegible] كيف تجده؟ فقال: أنا بريء من [illegible] إن لم يكن عمل قبل أن يوحي الله عز وجل إلى النحل، أي لم يبق فيه من الحلاوة شيء. ويروى أن بعض ولاة المدينة وكان بخيلا قدم على مائدته يوما جدياً، فلم يمسه أحد، إلا أشعب، فإنه تعرض له من بينهم، وسرعان ما تساءل الوالي: أليس لأهل السجن إمام يصلي بهم؟ قالوا: لا. قال: فليصلّ بهم أشعب. فقال أشعب: أو غير ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف أن لا آكل لحم جدي أبداً.

ولم يكن يتولى المدينة والٍ إلا ويطلب أشعب، فهو اللعبة اللطيفة التي يروح بها الوالي عن نفسه. وارتفع اسمه إلى الوليد بن يزيد الخليفة الأموي، فطلبه، وحمل إليه، فلما حضر عنده كان يلبسه لبسة قرد لها ذنب، وكانت تشد في رجليه أجراس، وفي عنقه جلاجل، ولم يزل في ندماء الوليد وخاصته حتى قتل. وعلى هذا النحو كان أشعب يحترف الضحك والإضحاك في عصره بحركاته وصوره الكاريكاتورية، وبنوادره ونكته ودعاباته، وملابسه وأزيائه وما يتخذ من قرود وغير قرود، فهو أراجوز كامل يقدر على إثارة الضحك بكل الصور المختلفة من وجهه وجسمه ولسانه.

وقد أخذت تخلفه في العصور التالية جماعات من المضحكين، واشتهر منهم من طائفة الخلفاء والوزراء وندماؤهم، ومنهم من كان يسقط حتى يصبح سخرية، أو كما يقال مسخرة، ومنهم من كان يظل متماسكا له شخصيته، مهما تظرف وتملح. ومن أشهر هؤلاء أبو دلامة نديم السفاح والمنصور والمهدي. ويروي الرواة أن السفاح قال له: اسأل، قال: كلباً، فقال له: ويلك! ما تصنع بالكلب؟ قال: أصيد به، قال: فلك كلب، قال: ودابة، فقال السفاح: ودابة، قال: وغلاما يركب الدابة ويصيد، فقال السفاح: وغلام، قال: وجارية، قال: وجارية، فقال: يا أمير المؤمنين كلب وغلام وجارية ودابة، هؤلاء عيال ولا بد من دار، قال: ودار، قال: ولا بد لهؤلاء من غلة ضيعة، قال: أقطعناك مائة فدان عامرة ومائة فدان غامرة، قال: وأي شيء الغامرة؟ قال: غير المزروعة، فقال: أنا أقطعك خمسمائة فدان غامرة من فيافي بني أسد، قال: قد جعلناها لك عامرتين كلتيهما، ثم قال: أبقي لك شيء؟ قال: نعم أقبّل يديك، قال: أما هذه فدعها، قال: ما منعت عيالي شيئاً أهون فقداً علي منه. وفي هذه القصة ما يدل على مدى حيلة أبي دلامة ونادرة في المزاح وما كان يطبع به من ميل للفكاهة. وتروى له نوادر مع الخيزران زوجة المهدي لا نستطيع أن نقصها لطولها. ويقال إنه دخل على أم سلمة زوجة السفاح بعد وفاته فعزاها فيه، وبكى وبكت معه، فقالت أم سلمة: لم أر أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة، فقال: ولا سواء يرحمك الله، لك منه ولد، وما ولدت أنا منه. فضحكت، ولم تكن منذ مات السفاح ضحكت إلا ذلك الوقت، وقالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته.

ومن هؤلاء الندماء المضحكين أبو العيناء نديم المتوكل وغيره من خلفاء القرن الثالث للهجرة، وكان من ظرفاء العالم، آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب، وله نوادر وطرائف كثيرة، وهي كلها تدخل في باب الأجوبة المسكتة. وكان في أول أمره بصيراً، ثم فقد بصره. ومما روي عنه أنه قيل له: فلان يضحك منك، فقال: «إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون». وقال له شخص: يا فاسق، فقال: «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه». وسئل عن مالك بن طوق،

مدام دى ستال

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

جاءت مدام دى ستال فى فجر الحركة الرومانتيكية الفرنسية . وإذا أخذنا بالتقسيم الذى وضعه مؤرخو الأدب الفرنسى فيما يتعلق بالحركات الرومانتيكية فإنها توضع فى أولى هذه الحركات . وإذا عرفنا ما كانت تقتضيه هذه الفترة المبكرة فى حياة الأديب الرومانتيكى من العمل والتأليف قلنا إنها أنسب الشخصيات لتلك الآونة وأليقها بذلك العهد .

فالحركة الرومانتيكية مقسمة إلى ثلاث فترات : أولاها هى تلك التى ظهرت فيها مدام دى ستال (١٧٦٦ — ١٨١٧) ، والثانية هى التى تزعمها فكتور هوجو من عام ١٨٢٠ حتى ١٨٣٠ ، والثالثة تأتى عقب ذلك فى سنة ١٨٥٠ تقريباً . أما فى الفترة الثانية ، فقد حاول شعراؤها ، وعلى رأسهم هوجو ، أن يجددوا فى أساليب المسرح ، وأن يتحكموا فى طبيعة الشعر ، وأن يضعوا للنثر أصولاً ويحددوه باتجاهات خاصة . وفى الفترة الثالثة تجدد المستوى العام فى المؤلفات الأدبية ، وأرست السنة للحركة الرومانتيكية ، وتوطدت دعائم التجمع فى شخصية الأديب . فإذا عدنا نتأمل الفترة الأولى ، أعنى تلك الفترة التى ظهرت فيها مدام دى ستال ، فإننا سنجدها من أخصب الفترات فى تاريخ الحركات الانتقالية ، وسنتعرف فيها على الخصائص التى لا تستدعى ظهور الأدباء الأصلاء بقدر ما تستلزم وجود الدافعين والمحركين الاجتماعيين .

ونحن نعلم أنه فى زمن مقارب لتلك الفترة أو قبيل انتهاء القرن الثامن عشر على وجه التحديد ، هب لستنج فى ألمانيا لإعمال التجريح والنقد على مذاهب الفن والشعر والتصوير

أحد معاصريه ، فقال : لو كان فى بنى إسرائيل [illegible] التوراة ما زعموا غيره . وتخاصم مع [illegible] وقد أمرت أن تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد [illegible] فقال : ولكنى أقول وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين ، فتحرج أنت . وقيل له : ما تقول فى ابن مكرم وابن رستم ؟ قال : هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما . ومر يوماً على دار عدو له ، فقال : ما خبر أبى محمد ؟ فقالوا : كما تحب ، قال : فما لى لا أسمع الصياح والعويل ؟! ووقف عليه شخص فما أحس فقال : من هذا ؟ قال : رجل من بنى آدم ، قال : مرحباً بك ، أطال الله بقاءك ، لقد كنت أظن أن هذا النسل قد انقرض .

ونتقدم بعد أبى العيناء ، فنلتقى بابن الجصاص ، نديم وزراء الخليفة المقتدر فى أوائل القرن الرابع للهجرة ، ويقال إنه كون ثروة كبيرة من نوادره وفكاهاته ، وكان يعمد فيها إلى التباله وإظهار الحمق والغباء ؟ فمن ذلك أن عالماً كبيراً من علماء بغداد ماتت أمه ، فذهب إليه الكبراء والرؤساء يعزونه ، وبينما هم عنده والجو كله خشوع وصمت ، إذا ابن الجصاص يدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله ، لقد سرنى [illegible] ومن حضروا عنده ، فقالوا له : كيف سرك [illegible] فقال : ويحكم ! بلغنى أنه هو الذى مات ، [illegible] أمه التى ماتت سرنى ذلك . فضحك الناس جميعاً . ومن نوادره أنه كان يأكل لوزاً يوماً فطارت لوزة فقال : لا إله إلا الله ، كل شىء يهرب من الموت حتى البهائم . وأعجب بفرخ فى يد غلام له فقال : أنظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه ! ثم سأل الغلام هل أمه ذكر أو أنثى ؟ ودخل على مريض فشكا المريض إليه وجعاً فى كتفه ، فقال : والله ما ألم من وجع كتفى ، وضرب بيديه على ركبتيه .

وهكذا كان هؤلاء المضحكون يطرفون الناس بمثل هذه النوادر التى تروى عنهم ، وكان الواحد منهم لا يزال يتنقل من مجالس الخلفاء والوزراء حتى يصبح أراجوزاً ، وكأنما شدت فيه أسلاك وخيوط ، فلا يهز هذه الخيوط والأسلاك أحد حتى تنهال عليه الضحكات . وما زال هؤلاء المضحكون والمذكرون يقومون بهذه الوظيفة حتى شاعت لعبة الأراجوز فانتقلت إلى مسارحها هذه الشخوص المضحكة .

شوقى ضيف

والكتابة المسرحية حتى اقتلعها من جذورها وجعلها كالريشة في مهب الرياح، على الرغم مما قوبل به من كراهية بالغة ومعارضة شديدة وإنكار شنيع. وفي انجلترا عرفت الآداب هازلت وتأثرت به بتحفظ شديد، ولكن هذا التحفظ لا يجعلنا نغفل أثره الكبير في الآداب الإنجليزية عند بدء القرن التاسع عشر. واتجاهه في مقاومة التراث الفني التقليدي يظهر لنا بوضوح واختصار في مقاله المشهور عن الأسلوب الأليف، حيث يصارح الكتاب بأن عجزهم هو الذي يجعلهم يتشبثون في ركاب المتقدمين، وأنهم يحتمون في الألفاظ من أجل التهرب من المعاني التي تفضح جهلهم وتكشف عن عجزهم.

أما في فرنسا فقد امتاز الفن التقليدي برونق وجمال، وطلاوة وحلاوة، وبأصالة واكتمال جعل من الصعب على المجددين أن يشقوا طريقهم ويؤزروا في بيئتهم مثلما فعل أندادهم في كل من ألمانيا وانجلترا. بل إن مميزات الفن التقليدي تعدت حينذاك حدود بلادهم إلى ما يجاورها دون أن يقتصر ضغطها على الأدب الفرنسي وحده. فانتشار الأدب الرومانتيكي في فرنسا لم يكن بنفس السهولة والسرعة التي صادفها في ألمانيا وانجلترا بسبب القوة والنفوذ الواسع الذي كان يتمتع به الأدب القديم في فرنسا [illegible]. ولكن السياسة لم تهملهم كثيراً، وانبعث من جوف الثورة الفرنسية والروح العامة ما أعان الأدباء الرومانتيكيين على البزوغ، وما مهد لآدابهم سبل التغلب والانتصار. ومن هنا ذهب الفيلسوف الإنجليزي المعاصر برتراند رسل في كتابه عن تاريخ الفلسفة الغربية إلى أن السياسة كانت أصلاً للأنماط الرومانتيكية التي ظهرت هناك، وأنها لعبت الدور الأول في تأييد شعرائها.

وفي هذا الجو نمت مدام دي ستال. فنبهت أولاً إلى أن الحاجة إلى تغيير المشارب والأذواق أكبر من الحاجة إلى تقديم عمل فني تحلى بالعناصر الجديدة وتحتشد بالخصائص المستحدثة. واستطاعت أن تدرك حقيقة المشكلة التي يعانيها الشعر، فلم تأل جهداً من أجل توجيه الأنظار إلى مهمة الشاعر الأصيلة تبعاً للتغيرات التي حصلت من حوله في المجرى اليومي للحياة. ليس هذا كل ما في الأمر؛ وإنما أمكنها من ناحية أخرى أن تفهم خطورة التأثير الأجنبي على الأدب المحلي وأن تعرف أوجه الاستفادة من آداب الألمان؛ فإذا كان روسو هو صاحب الفضل الأول في توجيه الفرنسيين نحو آداب الإنجليز فمدام دي ستال هي صاحبة الفضل الأول في توجيه الفرنسيين نحو أدب الألمان.

نشأت في جو من النقد والحديث، وتربت في صالونات الأدب على قوم من الأعلام الذين كانوا يترددون بانتظام على بيت أبيها. فعشقت الكلام والجدل أكثر مما عشقت أي شيء آخر، ولم تستحوذ على القدرة الكتابية التي تؤهلها للارتفاع عن درجة البسطاء من محترفي الأدب. وهي تشيد عادة بهذه الملكة — ملكة التحدث إلى الناس — وتعتبرها من ضرورات الروح، والتفتت إليها دائماً في الشخصيات التي كتبت عنها. بل لقد كانت القدرة على الكلام غالبة على كل قواها الأخرى، إلى درجة أفسدت عليها الانتفاع بأشياء كثيرة وأبعدت الذين اتصلوا بها من كبار الكتاب. مثل ذلك ما حدث عندما التقت بجوته. ويحكى أنها ذهبت إلى ألمانيا جالست مرة الفيلسوف فخته وسألته أن يعطيها فكرة عن فلسفته في (الأنا) بصورة موجزة. فأخذ الرجل في الكلام [illegible]؛ ولم يكد يمضي من الوقت عشر دقائق حتى قاطعته قائلة: «وهذا يكفيني يا سيدي، لقد فهمت. لقد ارتسم مذهبك في عقلي. إنه نوع من إسقاط الذات...». وهنا بهت الرجل وحملق في المخلوقة التي لا تستطيع أن تنسى أنها من باريس.

ولكن الحركة الرومانتيكية كانت أحوج إلى هذه المخلوقة من أي إنسان سواها. وكان يلازمها الكثير من هذه الطباع والأخلاق. فلا بد دائماً في بدء النهضات الفنية أن تصاحب العوامل الاجتماعية والعناصر الحيوية عمل الأديب، وتزامله في اتجاهه، حتى لا يكون هناك تردد أو تأخر عند بعض الطوائف. إن الشعر يتأثر بالارتقاء العلمي والصناعي والتجاري ولا يقتصر على مجالات الروح من ناحية العاطفة والأخلاق. ومن هنا آمنت مدام دي ستال بأن التقدم الملحوظ في ميدان العلم الحالي كفيل بإحداث تغيير جوهري في طبيعة الفن الشعري. والظاهرة الروحية من أي نوع إنما تخضع في تكوينها وتطورها للعوامل المادية.

ومما لا شك فيه أن الخيال يعرض في هذه الأثناء لمضاعفات كثيرة وأنه يخسر ما من شأنه أن ينضم إلى الجانب العقلي في الحياة . بيد أن الشعر ليس خيالاً فحسب ، وإنما هو مزاج من العقل والنفس والحساسية والأخلاق كما جاء على لسانها في مقدمة الطبعة الثانية من كتابها عن الأدب .

فمن هذا كله نرى أن مدام دى ستال كانت أول من واجه الناصفة بين الرومانتيكيين ، وأنها نقطة الفصل بين تاريخين أو بين عهدين من العهود الأدبية . وكان من الضروري بالتالي أن تناقش مسألة القديم والجديد . وفهمها لهذه النقطة من أدق وأخطر ما ظهر في تاريخ الأدب العالمي ، وليس في تاريخ الأدب الفرنسي وحده . هذا مع أنها هي نفسها لم تكن جديدة في أعمالها الفنية إلى الحد الذي نتصور أن تكون عليه زعيمة نهضة من النهضات . وحينما تعرضت للشعر القديم وصفته بأنه شعر ممتاز حقاً من ناحية معينة ، وهي تلك الناحية الخاصة بالوصف الحي للأشياء الخارجية . أما الشعر الحديث فقد برز من الجانب المحرك في الروح الباطنة ، ومن الوجه الناطق للعقلية الساكنة . وتكشف دراساتها الخاصة ومباحثها في الآداب الأجنبية وشروحها الشعرية عن رأى خاص بها في فن الشعر على أحوج ما نكون إليه في هذه الفترة من حياتنا الأدبية حيث زاغت أمام عيوننا الحقائق وبارت في أيدينا المقاييس . قالت : إن الشعر الحق لا يكون عادة في النظم مهما كانت درجة اتساقه ، ومهما بلغت الروعة في نسجه ، ومهما عظم السكمال في تركيبه . إذ ليس الشعر غير حالة داخلية في القلب ، وهذه الحالة قد تقبل أن تمثل في كلام وأن تصاغ في عبارة وقد لا تقبل ، ويمكن ترجمتها في قالب شعرى أو في أسلوب منثور ، وقد يبلغ النثر في التعبير عنها مرتبة لا يتوصل إليها القريض .

والشعر عندها تقديس للشعور أو تبجيل للعاطفة . وكما يتوصل الإنسان إلى الحالة الشعرية عليه أن يطير في الأجواء الأثيرية بواسطة الأحلام ، ناسياً ضجيج الأرض ومنصتاً لانسجام السماء ، وناظراً إلى الكون بأكمله على أنه رمز لانفعالات الروح . والموضوع الأبدى في التفكير الشاعر هو مشكلة المصير الإنساني ، ومن ثم فقد كان من طبيعة الشعر أن يعطي طابع الرمانية لتلك اللحظة الرفيعة التي يرتفع فيها البشر فوق الآلام والملذات في الحياة . فالتجربة الشعرية إذاً حالة من حالات الابتهاج خصوصاً ؛ وإذا اتسمت العبقرية الشعرية بشيء فإنما تتسم بالطابع الروحي والقرب الوجداني . ويتكون الشعر عادة من استخلاص العاطفة السجينة في قرار النفس البشرية ، وترجمة الشاعر الحية العميقة ترجمة طبيعية لا تكلف فيها .

وكانت تؤمن فضلاً من ذلك بأن الشعر لا يحسُن بالبراعة في نظمه والجودة في تأليفه بقدر ما يعلو على حساب الروح المشعرة في أطنابه ، والحساسية المرهفة بين أنغامه . ولذلك اعتمدت في اتجاهها النقدي بأن المكانة الأولى في نظم الشعر للخيال . وكان عملها ذلك رد فعل مباشر لحالة الشعر في الزمن السابق عليها والخطة التي انتهجها بوالو Boileau في كتابه عن فن الشعر حيث خلط بين الشعر كعمل أدبي والشعر كنظم لغوي . وقد دفعها منطق الفكرة التي سعت من أجل توطيدها في النقد إلى أن تعلن شيئاً ذا خطر ، وهو تفضيلها الشعر الغنائي على كافة أنواع الشعر الأخرى ، وانتهى الأمر بها إلى حد الاعتقاد بأن هذا الضرب وحده هو الذي يمكن أن يتسمى بالشعر .

والحركة النقدية التي تذكر بها مدام دى ستال في تاريخ الأدب الفرنسي هي حركة من طراز فريد ، ومن نوع خاص يلائم البيئة التي نشأت فيها والظروف التي كانت تحيط بها والآراء السائدة في ذلك الوقت . وهي بالإضافة إلى هذا حركة واعية تقوم على أساس من فهمها للشعر ، ولا تكاد تنفصل عن إدراكها لحقيقة الفن الأدبي . وقد جرها إلى هذا الموقف رأيها في أن الشعر فن لا يقف عند حد ، ولا ينتهي إلى وضع ، ولا يبقى على حال ، وإنما هو فن متأثر بالأحوال الخاصة والأجواء المحيطة ، وينبع من صميم البناء الحيوي في الأفراد . ومن هنا تقول إن الشعر من عمل الناس في بيئة معينة وفي عصور معينة . وإذا كان الأمر كذلك ، فهو متقلب متغير ، محكوم عليه بالتحول والتطور ، خاضع لسنن الحياة في الاختلاف الذي ينشأ عن سير الزمن ونمو الحياة . وشأن الشعر في هذا طبيعة الحال

شأن كل المظاهر الحيوية وشأن الفنون الأخرى في المجالات الثابتة .

ولما كان الأمر في اعتقادها على هذا النحو ، فقد آمنت بعد هذا بأن النقد الأدبي هو الآخر لا يكون خاضعاً للقواعد التقليدية والأصول النظرية الموضوعة . فالنقد قائم على أساس العمل الأدبي ، والعمل الأدبي غير ثابت على حال أو واقف عند مرحلة . فلا بد إذاً من أن يتأثر النقد أيضاً بالجديد المتجدد بتجدد الأمم والثقافات والأذواق . النقد خاضع لما يصيب الشعر ، والشعر متغير بتغير الأحوال والثقافات ؛ فالنقد هو الآخر لا يمكن أن يكون جامداً إلى الأبد . إن الشعر في رأيها كما ذكرنا يعتمد كلية على الأخلاق العامة والسياسة القائمة والروح الشائعة . وكذلك يقوم النقد على كل هذه العوامل والعناصر الفعالة في ضمير الهيئة الاجتماعية .

وهذا طبيعي جداً من ناحيتها إزاء الأخطاء التي تبدت لها في النقد الأدبي حيال أعمال الأقدمين ، الذين كتموا أنفاس العمل الأدبي بمجموعة من الأصول والأحكام القديمة ، وضغطوا على روح الشعر بالأطر التقليدية المتعنتة . ولقد رأت مدام دى ستال أن تحرك النقد الأدبي في [illegible] الهبوط والتلف ، وأرادت أن تنقذه من مهاوى التأخر والتفكك . إذ كانت موقنة بأن رقي الأداة النقدية سيؤدى بدوره إلى إنعاش الفكرة العامة للأدب وإصلاح الخطوط الوضعية للأعمال الشعرية . بل ذهبت إلى أبعد من هذا ، فرأت أن أي حركة تقدمية في العمل الأدبي لا تستند إلى حركة مماثلة لها في الجانب النقدي الحالي ، من شأنها غالباً أن تضيع بين صرخات الدعاة المغرضين . وأدركها الذكاء في اتجاهها هذا بحيث استطاعت أن تدرك ما ينبغي لها وسط هذه التيارات المتزاحمة . عرفت أنه من الضروري بالنسبة إليها أن تبدأ من الواقع وألا تكتفي بكونها من أصحاب النظريات . فبدأت تشتق أصولها النقدية من الأعمال الأدبية ، وجعلت تتحسس الجمال في مواطن الإبداع من دواوين الشعر بغير ارتكان إلى قاعدة معروفة وبغير احتكام إلى شيء آخر سوى الذوق والإحساس الرهيف . ولم تكن تأبه — في خطتها هذه — لما يظهر من التفاوت بين فهمها للعمل الأدبي وفهم الأقدمين له .

ولكنني في النهاية لا أستطيع أن أنكر شيئاً ذا بال في هذا المقام ، وهو أنه إذا كان لمدام دى ستال أى أثر في المجال الأدبي فقد رجع ذلك إلى شخصيتها أكثر مما رجع إلى آرائها ، وكان نجاحها من أثرها في الكلام أروع من نجاحها عن طريق القلم والبيان . لقد كانت مثال الداعية الممتازة في الحركات التجديدية . فإذا عرفت أن الأدب كشكل شيء محتاج إلى الفهم والتجاوب وعرفت أن الفهم والتجاوب لا يحصلان بغير الترديد المتصل والتذكير الدائم تبينت مدى خطورة هذه المرأة في تلك الفترة من فترات الأدب الفرنسي . كانت آراؤها جديدة وغريبة في آن معاً . فلا بد من الدعاية القوية بالنسبة إليها حتى تثبت آراؤها في الأذهان وحتى تستسيغ مشارب الناس أقوالها ومزاعمها .

ولم يكن يمكن أن يحل محل هذه المرأة إنسان آخر . فإذا كانت اليوم مطموسة الأثر ، غير جلية القيمة ، فذلك لأن خطورتها في مجال الحديث والمشافهة أبرز من خطورتها في مجالات التسطير والتحبير . كانت تبلغ في مقدرتها الكلامية [illegible] وترتفع في ملكة المحادثة إلى درجة الإعجاز . [illegible] : ولو كنت ملكة لأمرت مدام [illegible] بالتكلم دائماً . وكانت تدرك قيمة هذه الموهبة في نفسها من ناحية الأثر الشخصي الذي تحدثه عند من يجالسها ، فأفردت لها كثيراً من اهتمامها وعنايتها ، ووقفت عليها صفحات من التحليل الرائع . واستطاعت أن تستغل هذه القوة لإذاعة أفكارها النقدية وأصولها النظرية في فنون الأدب . فاستفادت الحركة الرومانتيكية من هذه الموهبة أضعاف ما استفادته من شرحها وإنتاجها الأدبي .

وكانت تجمع إلى هذه المقدرة روحاً مزدانة بالثورة والحماس وقلباً مفعماً بالمثالية والبطولة . واتصفت بنوع من الجرأة النادرة ، واستمدت قوة من الإيمان بالخير والحق إلى درجة كبيرة ، بحيث أمكنها أن تقف دائماً في وجه الظالم والطامع . . . فأسبغ هذا كله على أسلوبها في الكلام ضرباً من المثالية والجمال الذي لا يكاد يبلغ نفوس السامعين حتى يؤمنوا بما تقول ويتحمسوا له أشد الحماس .

عبد الفتاح الديدى

الشعر والفلسفة

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

تعجب صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن لصداقته ورمى الفلسفة بقلة الجدوى فضلاً عن الغموض والإبهام، لأن كلام أبي الوليد في العقل والعقول والمعرفة والاتصال لا يحل عقدة، ولا يكشف قناعاً، ولا يروى الغليل. وقديماً قال الشاعر:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ولم تقتصر الفلسفة على هذا الاتهام، فرمت الشعر بالتمويه والغواية، واعتمدت على قول الله عز وجل: «والشعراء يتبعهم الغاوون» إلى آخر الآية الكريمة.

ونحن نرى أن الصناعتين من أشرف الصناعات وأكرمها، ولا موجب للنزاع بينهما، وقد عاشا دهوراً طويلة يتحليان بالصداقة الصادقة ويستظلان بظل الوحدة العائلية والبادية. وكل ما رآه في هذه الطائفة من خصومات بين المذاهب، ومنازعات بين الفحول، واختلاف بين الأفراد، حتى ليندر أن تجد الخل الوفى أو تلمس الحبيب.

وأنت تعلم أن الفلسفة صناعة يونانية، وهي لفظة يعنون بها في لسانهم إيثار الحكمة، ثم نقلت إلى سائر اللغات. وقد جرت عادة أوائل الحكماء في اليونان أن ينظموا حكمتهم شعراً. قيل ذلك عن طاليس أحد الحكماء السبعة وأول الفلاسفة في بعض الروايات. قيل إنه نظم قصيدة في الفلك والتنجيم أودعها بعض فلسفته.

هذا ما كان من حال الفلاسفة الطبيعيين؛ أما المصدر الآخر الذي غذى الفلسفة بالذوق والخيال والصوفية، فقد نبع عن أورفيوس، وكان شاعراً ومغنياً قرّب بين العقل والقلب، وجمع بين الفكر والشعور. وعنه أخذ فيثاغورس فلسفته ونزعته إلى الموسيقى وتفسير العالم بالنغم، والموسيقى هيكل الشعر، والنغم يسرى في أعصاب الشعراء، فكلاهم حين اهتدوا إلى ضبط النغم بلغوا لب الحقيقة وعرفوا سر الوجود.

ومن الثابت أن پارمنيدس رأس المدرسة الإيلية ترك قصيدة في الفلسفة تنقسم أقساماً ثلاثة: مقدمة، ثم الطريق إلى الحقيقة، ثم الطريق إلى الظن. ويحكى بلوتارك أنه عمد إلى الشعر كما عمد غيره من قبل، لأن أساليب الشعر تجرى كالمركبة؛ أما النثر، فإنه من السهولة بحيث لا يعبر عن الحركة. وقيل إنه أراد أن يكسب فلسفته تأييداً من سحر الوزن وعذوبة الألحان. وأكبر الظن أنه رأى مذهبه مستمداً من الوحي، فلا يليق التعبير عنه إلا الشعر، وهو يستهل القصيدة بكلام على لسان إحدى إلهات اليونان تشرح له الطريقين وتلقى عليهما الضوء، طريق الحق وطريق الباطل. ثم تعلمه أن طريق الظن فاسد يشتغل به أفراد الناس الذين عن علمهم الموت والفناء، ثم تنهاه عن السير في هذا الطريق.

ويقال إن أنبادوقليس من فلاسفة القرن الخامس، وصاحب مذهب العناصر الأربعة، النار والهواء والماء والأرض، ثاني فيلسوف نظم فلسفته شعراً، إذا أسقطنا من حسابنا شعر الفيثاغوريين، ونظم زينوفان. وإذا صدقنا رواية قدماء المؤرخين، فإن مجموع أشعاره تبلغ خمسة آلاف بيت، بقى منها حوالى ثلثمائة وخمسين.

وقد نظم أرسطو الشعر وكانت إحدى القصائد التي نظمها تودى بحياته؛ ذلك أنه بعد وفاة أفلاطون صاحب الأكاديمية هجر أرسطو المدرسة، وكان من أبرز تلاميذها، وذهب إلى هرمياس، وكان تلميذاً معه بالمدرسة، وأصبح طاغية أتارنيوس، فجمع حوله حلقة من التلاميذ، وظل أرسطو معه إلى أن قتل. وسبب ذلك أن هرمياس ظل حائراً بين مقدونيا والفرس، وكان ينحاز إلى إحداهما تارة وإلى الأخرى تارة ثانية، إلى أن وقع في شرك منتور القائد الرودسى فسلمه إلى عدوه وشنقه. وأثرت هذه الخاتمة

في قلب أرسطو ، فسجل شعوره شعراً في لحن بعنوان « الفضيلة » جاء فيه :

أيتها الفضيلة ما أشق الحصول عليك !
أنت أثمن ما يطلبه المرء
ما أجملك أيتها العذراء الصغيرة
لقد اقتحم الإغريق الموت في سبيلك
وتحملوا أعظم الآلام والأرزاء
إنك تملأين النفوس بثمار خالدة أغلى من الذهب
وأفضل من روابط الدم وأحلى من النوم الحالم »

* * *

وكاد أرسطو أن يحاكم ويقتل كما حوكم سقراط من قبل بسبب هذه القصيدة ، لأن الآلهة فقط هم الذين يخلعون بشرف النظم ؛ فإذا رثى أحد صديقاً بالشعر ، فهذا من قبيل الإلحاد والتطاول على الآلهة .

ولما انتقلت الفلسفة إلى العرب كان منهم الشعراء ، فهذا يعقوب بن إسحاق الكندي ، فيلسوف العرب ، سمع رجلاً ينشد قول ربيعة الرقي :

لو قيل للعباس يا ابن محمد
قل : لا ، وأنت مخلد ، ما قالها

فقال : ليس يجب أن يقول الإنسان في كل شيء نعم ، وكان الوجه أن يستثنى . ثم قال :

هجرت في القول لا إلا لعارضة
تكون أولى بها في اللفظ من نعم

وعقب المرحوم مصطفى عبد الرازق باشا على ذلك بقوله : « وهذه الشواهد تعرب عن منهج الكندي في النقد الأدبي ، وهو مذهب فلسفي يقوم على العناية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية واستقامته في نظر العقل » .

وللكندي شعر آخر ، ولكن رأيي فيه أنه لم يكن أديباً من الطراز الذي يعتد به ، وقد ذهبت في رسالتي عنه منذ بضع سنين إلى أن فساد عبارته وغموضها مما دعا إلى إغفاله ، فلم يشتهر شهرة الفارابي مثلاً .

أما أبو نصر الفارابي ، فهو المعلم الثاني ، من حيث إن أرسطو هو المعلم الأول . وقد سمي أرسطو المعلم الأول لأنه وضع المنطق ، وسمي الفارابي المعلم الثاني لأنه وضع علم الموسيقى أو التعاليم الصوتية . فلا غرابة أن يكون الفارابي صاحب ذوق مرهف الحس حسن العبارة . وروى ابن أبي أصيبعة له شعراً ، أو بعض قطع من الشعر تدل على رقة الطبع منها :

لما رأيت الزمان نكسا … وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال … وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً … به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً … لها على راحتي شعاع

ويبدو أن الفارابي كان يميل إلى العزلة والانفراد . جاء في سيرته أنه « لم يكن محتفلاً بهيئة ولا منزل ولا مكاسب . ويذكر أنه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط . ويرى الانفراد على شرب الخمر ولا يحب المنادمة عليها ... » .

ومن شعر له في هذا المعنى :

بزجاجتين قطعت عمري … وعليهما عولت أمري
فزجاجة ملئت بحبر … وزجاجة ملئت بخمر
فبذي أدون حكمتي … وبذي أزيل هموم صدري

ويبدو أنه ندم على ارتكاب الإثم فطلب من الله المغفرة في شعر فلسفي منه :

يا علة الأشياء جمعاً والذي … كانت به عن فيضه المتفجر
إني دعوتك مستجيراً مذنباً … فاغفر خطيئة مذنب ومقصر

أما أبو علي بن سينا فقد أثر عنه شعر كثير ، منه قصيدة في المنطق وهي طويلة نذكر منها :

وفطرة الإنسان غير كافيه … في أن ينال الحق كالعلانيه
ما لم يؤيد بحصول آله … واقية الفكر عن الضلاله
وهذه الآلة علم المنطق … منه إلى جل العلوم نرتقي

وله الأرجوزة في الطب التي مطلعها :

الطب حفظ صحة برء مرض … من سبب في بدن منه عرض

وسوف ينشرها الأستاذ كونيز في مطبوعات المعهد

(البقية على صفحة ٢٣)

جمال الدين الأفغاني
والإصلاح الديني

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

قضية الإصلاح الديني في الإسلام كما واجهها الأفغاني ، هي قضية اليوم يواجهها الذين أشربت عقولهم وقلوبهم آراءه وتعاليمه على قدر طاقتهم في فهم روح العصر ؛ ويبدو أن هذه القضية في اتساع دائرتها ستظل أيضاً قضية الغد ، حتى يبعث الله لها رجلاً ، بل رجالاً أتيح لعبقريتهم الفصل فيها برأي قاطع يلائم بين وجهة الدين ووجهة المجتمع في تطوره الدائب المستمر .

ومن الإنصاف في البحث أن نقول إن قضية الإصلاح الديني في الإسلام قديمة العهد ، ترجع أصولها إلى القرن الثالث للهجرة ، إذ استمر الجدل بين علماء الكلام في التوفيق بين تكاليف الدين وتعليل العقل ، حتى تفرقت في ذلك الفرق وتعددت المذاهب ، وراح كل فريق يلتمس باب الإقناع برأيه والإلزام بحجته ، فوجدوا في الفلسفة اليونانية مورداً مستساغاً ينهلون منه على هواهم ، ولعل الذي أغراهم بذلك أنهم وجدوا في تحليل الفلسفة حرية للتأويل والاحتجاج لم تكن نصوص الدين تسعفهم فيها ، وقد أدى هذا الاتجاه إلى صبغ التفكير الديني بصبغة فلسفية جدلية يتوزع الرأي فيها بين طرفي الرفض والتسليم .

وفي ناحية أخرى جلس علماء المذاهب الفقهية يحررون الأحكام ويقررون الفروع ويشرحون نصوص الدين فيما يلائم مطالب الحياة الاجتماعية ، وفيما يتوسل به الناس من شئون العيش والأخذ بمناهج الحياة ؛ ولقد وقع بينهم ما وقع من الاختلافات الشكلية في تأويل الألفاظ والتماس التدليل على الأحكام ، ولكنهم كانوا جميعاً يتفقون في غاية واحدة ، وهي تصفية العقائد الدينية وتهذيب العادات في المجتمع الإسلامي ، وترويض الطباع على الملاءمة بين مطالب الدنيا وتكاليف الدين ...

وتطورت الحياة الإسلامية من الناحية التاريخية إلى أبعد مدى ، واتسعت دائرة الدولة حتى أصبحت تضم أمماً مختلفة ، وشعوباً متعددة الأجناس والأشكال ، وكل أمة لها بيئاتها وعاداتها ، وكل شعب له ثقافته وتعاليمه ، فكان هذا كله ذا أثر في الحياة الإسلامية الدينية ، جدت نزعات جامحة من الرأي ، وتفكيرات متحللة في العقيدة ، وميول متطرفة في الأخذ بمطالب الدنيا وزخارف الحياة ، وشطحات غامضة من المتصوفة في فهم الصلة بين العبد وربه ، فكان هذا مما حمل بعض رجال الدين على مواجهة هذه الحال بالتشدد وفرض الأحكام والمبادئ التي لا تتعدى مدلول النصوص الواردة . وقد كان لهذا التشدد أثر عكسي ، فلم يأت القرن السادس للهجرة حتى كان التفكير الإسلامي يخضع لما يسمونه في التعبير الحديث « الروح المدرسية » التي تقف بالفكر في أضيق ما يكون من الحدود ، وقد أفزعت هذه الحال كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين ، فأخذوا يقاومونها جهدهم ، حتى الغزالي وهو العلم المتصوف الذي وقف يناضل أصحاب النظر بالعقل من الفلاسفة ، نراه في ناحية أخرى يناضل دعاة الجمود الفكري من علماء الدين نضالاً حاراً تتجلى فيه براعة ذلك المفكر العظيم .

وعندما انتهت الحروب الصليبية كان الإسلام قد أسلم كل شيء عنده ، وكان الفكر الإسلامي قد نام تحت أعباء الأحداث القاسية ، فاختفت الروح السمحة في قبض من الوجهة اللاهوتية الجامدة ، وكان من الطبيعي أن تنقسم

العروة الوثقى بين الدين والدنيا فى الأخذ بمطالب الحياة والنهوض بأعباء الحكم والسلطان .

وكان المسلمون يحتفظون بالإسلام فى قلوبهم عقيدة لها طقوسها ومراسيمها ، ولكنها أصبحت كقوة تصل المسلمين بنظم السياسة وأساليب الحكم واتجاهات الحياة الاجتماعية ، ولما تحددت الامبراطورية الإسلامية تحت لواء الخلافة العثمانية ظل هذا هو الوضع السائد ، وسرعان ما بدت هذه الحقيقة واضحة على أثر انتهاء فورة الفتوحات واكتمال الغزو العثمانى إلى أبعد مدى وصل إليه ، إذ بدا الدين فى تقدير أكثر الناس أداة جامدة لا تساير روح العصر ، ولا تتمشى مع التيارات الجديدة التى تتصل بنواحى الحياة الاجتماعية والعلمية والفكرية والاقتصادية ، بل لقد تحولت الفكرة الإسلامية التى تستمد أصولها من الفطرة الإنسانية الصافية إلى سلسلة من الخرافات وشعوذات المتصوفة ، وأصبح علماء الدين أشبه بطائفة الدراويش ، كان الواحد منهم يطيل سباله ، ويوسع سرباله ، ويستغل الدين فى طلب الدنيا ، ويلفق عليه عددا من الغرائب والعجائب ، وينبش [illegible] كتب القصاصين وأساطير الإسرائيليين ، ويحاول بها [illegible] والعقول الجامدة عند العامة من جهة ، و[illegible] من جهة أخرى ، ليشبع من مجهول [illegible]

كانت هذه حال العلماء فى مصر وفى الشام وفى العراق ، على أنها كانت فى تركيا أعجب وأغرب ، فكانت ترى رؤساءهم وكبراءهم فى ردهات قصر « يلدز » يموجون فى أثوابهم الفضفاضة ويجلسون على الأرائك المصفوفة وسباحهم بين أصابعهم يتمتمون عليها تمتمات لا تسمع ، ويظلون على هذا الساعات الطوال لا يتحركون فى مقاعدهم ، منتظرين دورهم فى القاعة ليفضوا إلى الخليفة بتعبير رؤيا ، أو بنبوءة ، أو قراءة طالع ، أو وشاية فى شأن حاكم ، والخليفة من الضعف والتهافت بحيث يحظى بهذا كله ، حتى بلغ من سوء الحال أن سيطر رجل مثل « أبى الهدى الصيادى » على الخليفة وعبد الحميد بشعوذات التصوف وتلفيقات الدراويش كما سيطر راسبوتين على قيصرة روسيا ، فكان هذا الرجل الأفاق هو صاحب الكلمة والصولة ، لا ينال أحد منصباً فى الدولة إلا ببركته .

كانت هذه الحال بما أفضت إليه من عوامل الجمود والخمود ، تستدعى النزوع إلى الإصلاح ، إذا لم يكن بدافع اليقظة الفكرية والغيرة الدينية ، فخضوعاً للضرورة التى تفرضها مطالب الحياة الجديدة وأساليبها ؛ وقد فكرت تركيا باعتبارها رأس الجسم الإسلامى فى ذلك الوقت فى الأخذ ببعض نواحى الإصلاح التى تلائم التطور الجديد ، فشرعت أول إصلاح تركى عام ١٨٣٩ م ، ولكن هذا الإصلاح لم يستمد أسسه من طبيعة الإسلام ومبادئه ، بل قام على المبادئ الفرنسية والاتجاهات الأوروبية ، التى كانت تشير بها الدبلوماسية السياسية فى الخارج ، ويتقاضى السفراء الأجانب لدى بلاط الخلافة فرضها على التقاليد الإسلامية ، وكان من الطبيعى أن تخفق هذا النظام ، لأنه لم يتصل بالروح الإسلامية ، ولم يلائم مشرب المسلمين وعواطفهم الكامنة فى نفوسهم ، وهكذا كان شأن كل إصلاح حاولته السلطات التركية والدوائر الرسمية فيما بعد .

أما فى الناحية الأخرى ، ناحية الجهود الفردية للمخلصين من رجال الدين ، فقد كان الأمر أجدى وأعود بالخير والنفع ، ويمكن أن نعتبر أول خطوة فى السعى إلى إدراك الإصلاح [illegible] روح الإسلامية القوية بأمجادها وأعلامها [illegible] الحياة ومجاراة التطور فى تلك الحقبة [illegible] شخصية محمودة — العلامة ابن تيمية ، إذ أخذ هذا العبقرى العظيم يحارب البدع والخرافات ويناضل الحشويين والمتصوفين ، ورد الإسلام إلى أصوله الصحيحة ونصوصه الصريحة ، وفطرته السمحة ، حتى حكم عليه أهل عصره بالتكفير ورموه بالزندقة ، واتهموه بالمروق ، وألفوا فى ذلك الكتب والرسائل ، ولكن الرجل كان قد بذر بذوراً قوية فى بعض النفوس الصالحة ، فنبتت وأثمرت ، وكانت دعوة محمد بن عبد الوهاب فى نجد ثمرة من هذه الثمرات ، وكانت دعوة هدفها الرجوع بالإسلام إلى طبيعته الأولى ، والعمل على أن يخرج هذا الدين بسلطته من الجزيرة العربية لقيادة العالم مرة أخرى ، كما خرج إلى ذلك من قبل ، ومضى الوهابيون فى تنفيذ خطتهم عملياً ، وحشدوا لها جهودهم ، ورفعوا فى سبيلها السيف ، ولكن السيف لم يكن إلا سلاحاً ضعيفاً تافهاً أمام المدفع ، فما هى إلا جولة فى الميدان حتى طويت تلك الحركة أمام الجيش المصرى الذى أرسله محمد

على محاربة الوهابيين تحقيقاً لرغبة السلطة ..

وكان أن فتح على الإسلام باب جهنم ، وهو باب الاستعمار الأوربي الذي أخذ يشحذ لافتراس تركيا ومواجهة الإسلام في عقر داره ، ولم تكن المسألة مسألة القوة فحسب ، ولكنها كانت أكبر من هذا وأخطر ، إذ أخذت أوربا تهجم على الشرق بثقافاتها وتقاليدها وديانتها ، وفاض على العالم الإسلامي فيض المبشرين والمستشرقين والدبلوماسيين وغيرهم من طلائع الاستعمار ، وكل همهم تحطيم الروح الإسلامية بكل ما يملكون من مال وفير وأساليب جديدة في التفكير والدعاية والوصول إلى الهدف ؛ وكان هؤلاء الدعاة أحد ثلاثة : مبشر ديني متعصب يريد أن يقتلع الإسلام من أصوله ليزرع مكانه ديناً آخر ، أو صاحب غرض سياسي يهدف إلى غرضه على حساب الدين والثقافة الإسلامية ، أو ملحد أوربي يقاوم الإسلام كما يقاوم غيره من الأديان ، وهو يطمع أن يجد في هذا العالم [illegible] تربة صالحة لتقبل مبادئه ومباذله ، كل هذا والعالم الإسلامي غارق في الجهل ، تقتله الخرافات والأوهام ، وتستبد به مطامع الحكام ، وتتلاعب به شهوات [illegible] التيه ؛ فكانت هذه الحال بالإسلام أحرج ما يكون من المواقف ، وأضيق ما يكون من المآزق ؛ ولعل الإسلام لم يواجه في تاريخه فترة أقسى من تلك الفترة الأثيمة ، ولعل هذا الدين لم تشوه معالمه وتميع تعاليمه ، وتلصق عليه الأكاذيب والجهالات ، مثل ما ألصق به في تلك الآونة المظلمة ، وما لحق به من جراء تلك الحال المنكرة ...

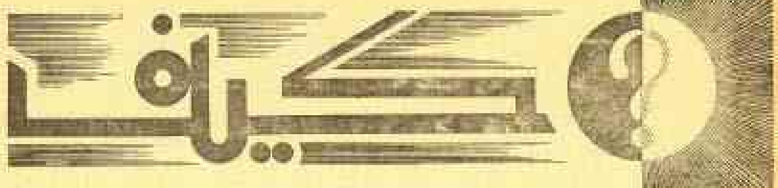
كان دعاة الخارج يتهمون هذا الدين بأنه أداة جامدة لا تقبل التطور ، ولا تساير أوضاع الحياة الجديدة ، ولا تصل الإنسان بمطالب الدنيا ، ولا تتسع لحرية الفكر ، ولا تحتمل طبيعته أساليب البحث العلمي واتجاهات النظر العلمي ؛ ويزعمون أنه ليس في روحه ومنزعه إلا دعوة إلى التعصب والإصرار على الجمود ، والاستسلام للقضاء والقدر ، وكانت أروع حجة لهم على ذلك ما يعلمون به من حال المسلمين الراهنة ، وما يتلونه في شئونهم الجارية ، حتى جازت دعاواهم على الكثيرين من الذين أخذوا بحظ من التعليم المدني ، ولم يكن لهم أدنى حظ من التعليم الديني ، وكثيراً ما وجدت هذه الدعاوى الفرصة من يدعو لها ، وينشرها ، من المأجورين أو المخدوعين من المسلمين أنفسهم .

هذه القوة الهاجمة من الخارج ، كان يقابلها ضعف متخاذل في الداخل : علماء الدين الذين يتولون الولاية عليه ، ويضعون أنفسهم دعاة له ، لا يعيرون شيئاً مما يجري حولهم ، ولا يفقهون الخطر الكامن في هذا الهجوم الموجه إلى دينهم ، بل لقد كانوا في جمودهم وجهلهم هذا حجة للهاجمين ؛ فكلما مد الغرب على الشرق مده ، وكلما تدفقت روافد الحضارة الأوربية والمدنية الحديثة في أقطار العالم الإسلامي ، أمعن هؤلاء المتزمتون في الانطواء على أنفسهم ، وفي الجمود الذي يحيي الرسوم الكلامية والمماحكات اللفظية الفارغة حتى وقفوا بالإسلام بين جدران المساجد وحصروا مظهره في السبل الطويل ، والسربال الفضفاض ؛ فكان الإسلام في هذه الحال أحوج ما يكون إلى مصلح عظيم يبعثه بعثاً جديداً ، ويرده على أهله قوة تصلهم بأرقى ما في الحياة من النظم الاجتماعية ، وتمكن لهم في الأرض كما مكنت لهم من قبل ، وتطهر قلوبهم وعقولهم مما علق بها من أوضار [illegible] وآصار الخرافات والخزعبلات ... كان الإسلام أحوج ما يكون إلى رجل يواجه قضية الإصلاح الديني على هذا الوضع الذي انتهت إليه ، وتعقدت به ، وارتكست فيه ، فكان ذلك الرجل هو جمال الدين الأفغاني .

(للكلام صلة)　　　　د . فوزى عبد اللطيف

شركة تضامن

تكونت شركة تضامن بين عبد العال أحمد ونور مصطفى باسم شركة أحذية عبد العال لصناعة الأحذية وبيعها بالقطاعي ، ومقرها ٨ شارع البطل أحمد عبد العزيز برأس مال ٤٠٠ جنيه مصري مناصفة ، والإدارة للأول بمقتضى عقد محرر بتاريخ أول مايو سنة ١٩٥٠ لمدة خمس سنوات ، وسجل ملخصه بمحكمة مصر الابتدائية تحت رقم ٥٢٠ سنة ١٩٥٠ في ٧ / ٥ / ١٩٥٠ .



الأغذية الواقيـــــة

أغذية لا بد أن تعمر بها مائدة طعامك إذا كان لأفعالك الجسمانية أن تسير وفق النظام .

الأستاذ جمال الدين محمد موسى

كل منا يأكل ليعيش ، وإن من الطعام لأصنافاً وألواناً لا يعدها العد ولا يحصيها الحصر . ولكل لون من هذه الألوان فائدة للجسم ، فالأرز والبطاطس والفواكه والزبدة والسكريات والكريمة والحلاوى من الأطعمة التي تهبك الطاقة ، فهي تساعدك على أن تمشي وتقوم ، وأن تغمض وتفتح عينيك وتفتحهما ، وأن تؤدي الحركات الحيوية المتباينة ، كما أنها تحفظ درجة حرارة جسمك عند ساحة ثابتة .

واللحم والبيض واللبن والجبن والفول المدمس ألوان غذائية أخرى تساعد جسمك على النمو وتجدد باستمرار ما يبلى من أنسجتك ، فهي تجبر عظامك وتضمد جروحك ..

وإلى جانب ذلك فهناك أغذية ضرورية لا بد أن تعمر بها مائدة طعامك إذا كان لأفعالك الحيوية أن تسير وفق النظام ؛ هذه هي الأغذية التي تحوي المواد المعدنية كالحديد والنحاس مثلاً ، والأغذية التي تحوي الفيتامينات ..

وحديثي اليوم مع القراء عن المواد المعدنية والفيتامينات ..

• • •

المواد المعدنية :

يحتاج جسمك إلى حوالي خمسة عشر عنصراً من المواد المعدنية المختلفة إذا شئت أن ينشط ويعمل كما يجب .. ولننظر الآن بعض ما تؤديه المواد المعدنية في الجسم ...

هل تعلم وظيفة كريات الدم الحمراء في دمك ؟؟

إنها تقوم باستخلاص الأكسجين من الهواء حين يمر دمك داخل الرئتين ؛ وبغير الأكسجين في دمك لا يتأتى لطعامك أن يحترق ويهبك الطاقة ، وبغير الطاقة تحدث الوفاة .

ولكي يتسنى لك أن تعمل كريات الدم الحمراء كبير الأهمية ؛ ولكنه لا يتأتى لها تأدية هذا العمل بغير الحديد .. فالحديد إذاً لازم وضروري ، ويحوي جسم الشخص الكامل النمو على جزء من عشرة من الأوقية من الحديد .

ولسبب عجيب لا يمكن للحديد في دمك أن يؤدي واجبه في غياب النحاس ، فهما متلازمان يكمل كل منهما عمل الآخر . وهناك في دمك كمية ضئيلة من النحاس ، ولكن هذه الكمية الضئيلة جد مهمة وضرورية ..

وهناك مادة معدنية أخرى يحتاجها جسمك وهي اليود . وبرغم أن الكمية التي تحتاجها منه يومياً جد ضئيلة حتى إنه من السهل وضعها على رأس دبوس إلا أنه لا بد لك منها لكي تعيش وتنمو . فهناك غدة كبيرة ومهمة في عنقك تسمى الغدة الدرقية ، لا يتأتى لها تأدية عملها بغير اليود . وحين تعجز هذه الغدة عن القيام بوظيفتها على الوجه الأكمل في الأطفال والبنات في دور النمو ، فإن نموهم يتوقف .

ومن المواد المعدنية الهامة عنصرا الكالسيوم والفسفور

لهما يدخلان في تكوين العظام والأسنان ، كما أن الكالسيوم وظيفة هامة وهي أنه يحفظ الأعصاب في حالة جيدة .

وإلى جانب هذا فهناك مواد معدنية أخرى تساعد في تنظيم نبض القلب والتئام الجروح ، وتساعد في عملية الهضم وتؤدى عديداً من أعمال الرقابة اللازمة في جسمك .

كيف تحصل على المواد المعدنية ؟! :

يحصل جسمك على المواد المعدنية من الأطعمة التي تتناولها ، وخير الأطعمة التي تمدك بهذه المواد الفواكه والخضراوات الطازجة واللبن واللحم والبيض .

ويحتوى لحم الجاموس والكبد والجمبري والعسل الأسود والبيض والبرقوق على كثير من الحديد ، واللبن من الأغذية الغنية بالكالسيوم ، وهذا هو السبب في أن الأطفال يحتاجونه في طور النمو ، ولابد لهم منه لتكوين عظامهم وأسنانهم .

والجبن والبيض والفول والبسلة ، وكثير من الفواكه موارد جيدة للكالسيوم كما أنها تمدنا أيضاً بالفسفور ... والمادة المعدنية الأخيرة موجودة بكثرة كبيرة في السمك .

أما اليود فهو يوجد بكثرة في أطعمة البحر الملح ، وفي النباتات التي تنمو إلى جوار المحيطات ، وفي ماء الشرب الذي نحصل عليه من جوار البحار والمحيطات ...

• • •

الفيتامينات :

إن الفيتامينات جد ضرورية ولازمة لتحمي الجسم ضد المرض وتجعله يعمل في نظام ، ويعلم العلماء اليوم عن بعضها ما يكفي لتأليفها وصناعتها في المعمل ، وهم يعملون على تحليل البعض الآخر ومعرفة تركيبه تمهيداً لتكوينه صناعياً على نطاق واسع وثمن رخيص .

ونحن لم نعلم بعد كل ما يجب معرفته عن الفيتامينات ؟ فما زال العلماء يدرسون هذه المواد الغذائية البالغة الأهمية ويقومون باكتشافات جديدة بين وقت وآخر ...

ولنتحدث الآن عن بعض الفيتامينات ...

فيتامين ا :

إن فيتامين ا ضروري للنمو الصحيح ، ولذا فإنه هام وبالأخص للأطفال والبالغين ، وإلى جانب هذا ففيتامين ا جد لازم لصحة العينين إذ يساعد في حفظها من المرض ، كما أن له أثراً بالغاً على النظر ، فإذا لم يحصل الفرد إلا على قدر ضئيل مما يلزمه منه فإنه يجد صعوبة في رؤية الأشياء في الضوء القاتم ، ويمكن للإنسان أن يخزن هذا الفيتامين في الجسم .

والآن ما هي الأغذية التي عليك أن تتناولها لتحصل على فيتامين ا .

إن من موارده الخضراوات الخضراء الورقية ، والخضراوات ذات الجذور الصفراء والكبد ومنتجات الألبان .

ومعظم أنواع اللحوم والحبوب والفواكه تحوى فقط كمية ضئيلة من فيتامين ا ، ولذا فليس لك أن تعتمد عليها لتحصل على هذا الفيتامين ...

مجموعة فيتامين « ب » :

تحدث هنا عن ثلاثة من أفراد هذه المجموعة تسمى علمياً بالأسماء التالية : ثيامين — ريبوفلافين — نياسين .

الثيامين :

ربما لم تسمع عن شخص أصيب بمرض البرى — برى ، إن هذا المرض يوجد بكثرة في البلاد الأسيوية التي يكون الأرز غذاءها الرئيسي ، ويسبب هذا المرض آلاماً عظيمة في الأرجل والأيدي ، وفي بعض الأحيان يغدو المصابون به مشلولين ، وفي أحيان أخرى يموتون .

وهذا المرض من أعراض نقص الفيتامينات ، والثيامين مانع منه ...

وإلى جانب منعه لمرض البرى — برى ، فإن الثيامين يساعد في حفظ الأعصاب في حالة جيدة ، وهو يساعد الجسم في عملية هضم مائيات الكربون والاستفادة منها ، كما أن له أثراً مباشراً على الشهية ، فإذا لم يحصل الإنسان على الكمية اللازمة منه ضعفت شهيته لتناول الطعام ... وهو إلى جانب ذلك جد لازم للنمو ...

ولكي تحصل على ما يكفي من الثيامين تناول الكبد والكلى والبيض والبسلة الجافة والفول المدمس والفول السوداني . والخميرة مورد رائع له ، كما أن أغلب الحبوب موارد جيدة للثيامين ، ولكن أغلبه دائماً ما يفسد حين تحضر الحبوب للاستعمال ؛ لحبوب القمح مثلاً غنية بالثيامين ، ولكن الدقيق الأبيض الذي يستخرج من القمح بعد طحنه ويستعمل في عمل الخبز ينقصه الكثير منه . ولكي نحصل على الفائدة الكاملة علينا أن نصنع خبزنا من طحين القمح بكل أجزائه ...

الريبوفلافين :

إن الريبوفلافين ضروري لحماية صحة الجهاز العصبي . وحين يفتقر طعامك إليه فمن المحتمل أن يسبب عطباً في شفتيك ووجوهك ، كما تفقد بشرتك جاذبيتها ، ويبدو الجلد في أركان فمك متقرحاً غير صحيح ، كما لا تتاح لك مقاومة الأمراض المعدية بالقدرة التي تتوافر لك حين يحوي طعامك القدر اللازم من هذا الفيتامين ...

وألوان الطعام التي عليك أن تختار لها لتحصل على الريبوفلافين هي اللبن والبيض والكبد والكلى ولحم البقر والخضراوات الخضراء الورقة ...

النياسين :

إن النياسين هو الفيتامين المضاد لمرض البلاجرا . والقضاء على هذا المرض مشكلة وطنية ، فإن الآلاف من الأهالي يموتون من هذا المرض سنوياً .

وإذا كان طعامك غنياً بمنتجات الألبان والحبوب الكاملة والخضراوات الخضراء الورقة ، فأنت تحصل على ما يكفي من النياسين ، وما دمت تحصل على الكفاية منه فمن المؤكد أنك لن تصاب بالبلاجرا ...

فيتامين « ج » :

يسمى فيتامين « ج » حامض الأسكوربيك ، وهو يمنع مرض الأسقربوط ؛ ذلك المرض الذي كان كثير الانتشار بين البحارة . ففي أيام السفن الشراعية كان من المستحيل غالباً الحصول على فواكه وخضراوات طازجة في الرحلات الطويلة ، وهي الأطعمة التي تعد من أحسن موارد فيتامين « ج » ولذلك كان يصاب البحارة بذلك المرض .

ولا يصيب مرض الأسقربوط اليوم حيوات عديدة ، على الأقل في وقت السلم ، لأن أغلب الأشخاص في أيامنا هذه يحصلون على بعض من « فيتامين ج » ، ولكن هذا لا يعني أن كل الأفراد يحصلون على كفايتهم منه . إن الكثير لا يتأتى لهم ذلك ، وخاصة في فصل الشتاء ، وإن الجسم لا يختزن هذا الفيتامين ، ولا بد من تناول قدر كاف منه كل يوم ...

وحين لا يحصل الفرد إلا على أقل القليل من « فيتامين ج » ، فمن المحتمل أن يغدو عصبي المزاج ، سهل الإثارة ، غير متيقظ الحواس ، وربما أحس بآلام في مفاصله ، وهو النوع من الألم الذي يعتقد الكثيرون حين يعانون منه بأنه روماتزم وما هو بذلك . وقد لا تتأتى له القدرة على مقاومة العدوى أو سرعة النقاهة .

ويسبب نقص هذا الفيتامين أمراض اللثة والأسنان كالبيوريا .

وللحصول على الكمية اللازمة منه عليك أن تتناول البرتقال والجريب فروت الطازج والكرنب والتوت . كما أن الطماطم والفلفل والموز تحوي ما يكفي الجسم من حامض الأسكوربيك لتجعلها موارد مهمة له ...

ويذوب فيتامين « ج » في الماء الساخن ، فحين يغلى الكرنب مثلاً ، فإن قدراً كبيراً من الفيتامين يذهب في ماء الطبخ ، وتؤدي هذه الحقيقة إلى ضرورة اتباع قواعد ثلاث ...

١ — استعمل قدراً ضئيلاً من الماء حين تطبخ الخضراوات .

٢ — لا تلق الماء الذي تسلق فيه الخضر ، فإنه مورد غني بالفيتامينات .

٣ — تناول بعضاً من الفاكهة والخضراوات النيئة كل يوم لتتيقن من أنك تحصل على ما يلزمك من فيتامين « ج » .

فيتامين « د » :

إن في إمكان جسمك أن يصنع فيتامين « د » ، فضوء

الشمس بسبب صناعته في الأجزاء الدهنية من جلدك ؟ ومن أجل هذا، فإنه غالباً ما يطلق عليه فيتامين الشمس المشرقة. ويتسبب عن نقصه مرض الكساح. وإن طفلاً مصاباً بهذا المرض لا يمكن أن تنمو له عظام قوية مستقيمة أو أسنان سليمة جديدة ...

ويبدو أن فيتامين « د » يتحكم في الطريقة التي يستخدم بها الجسم الكالسيوم والفسفور في عمل العظام والأسنان، كما أنه أيضاً جد هام في مساعدة الجسم على الاستفادة من كل أنواع الطعام.

وإن الزبد والبيض واللبن لهي أهم الأطعمة التي تمدنا بهذا الفيتامين. ويحتاج الأطفال إلى جانب تناول كميات من هذه الأطعمة إلى إعطائهم باستمرار كميات من زيت السمك لترقى بحاجات عظامهم النامية، إذ هو غني بفيتامين « د »، كما أنه مورد طيب لفيتامين « أ ».

***

وبعد فإن هنالك فيتامينات أخرى غير ما ذكرت لك، ولكن الأنواع التي أخبرتك عنها هي أهمها .. إنها جد ضرورية للصحة. ويمكنك الحصول على حاجتك من هذه المواد الغذائية الضرورية بأن تتناول طعامك في حكمة وتقضي بعض الوقت في الشمس. ولا تشتري حبوب الفيتامينات إلا بأمر الطبيب ؛ ففي إمكانك أن تحصل على فيتاميناتك اللازمة بثمن أقل بتناول الأنواع والكميات الصحيحة من الطعام والمطبوخة على الوجه الأكمل ..

لقد ذكرت لك في سياق حديثي أنه من الأنفع والأحكم استخدام أقل ما يمكن من الماء في غلي الأطعمة، وثم طريقة أخرى لحفظ الفيتامينات، هي منع الهواء عن الطعام بقدر الإمكان أثناء عملية الطهي ..

جمال الدين محمد مرسي

الشعر والفلسفة

(بقية المنشور على صفحة ١٦)

الفرنسي، ويقال إن الصبيان من كتاتيب تونس لا يزالون يحفظونها حتى اليوم. وقد شرح هذه القصيدة كثير من الأطباء منهم ابن رشد. ونقلت إلى اللاتينية في العصر الوسيط، وكان الصبيان يحفظونها كذلك.

وله القصيدة العينية في النفس، وهي معروفة مشهورة:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تدلل وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

***

فإذا عرجت على التصوف وهو باب من أبواب الفلسفة، أو هو طريق من طرق معرفة الحق سبحانه، والفلسفة سبيل لمعرفة الحقيقة، رأينا أن معظم الصوفية نظموا، بل أنشدوا وسمعوا الموسيقى وطربوا، وتقلبت بهم الأحوال، وتذوقوا المواجيد، ورأوا آية الله في كل موجود:

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

قال عامر بن عامر البصري:

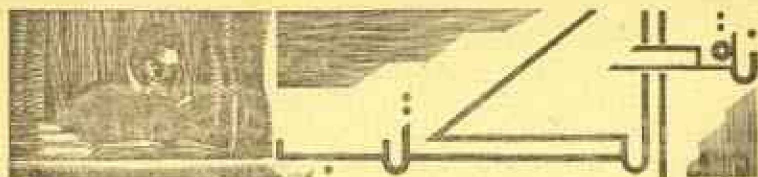
تجلى لي المحبوب من كل وجهة
فشاهدته في كل معنى وصورة

وقال ابن الفارض في تائيته:

جلت في تجليها الوجود لناظري
ففي كل مرئي أراها برؤية

فنحن نرى كلما عجز المرء عن الاهتداء بنور العقل سلك سبيل البصيرة والذوق، وما في حلاوة النظم والنغم ما يبعث الاطمئنان إلى القلب ويشيع السكينة في الفؤاد، فيصبح الشعر أداة توصل إلى معرفة الحق، والفلسفة منهجاً يفضي إلى طلب الحقيقة ؟

أحمد فؤاد الأهواني



سكينـــة بنت الحسين

تأليف الأستاذ توفيق الفكيكي

١٣٦ صفحة — مطبعة الزهراء بالنجف — العراق سنة ١٩٥٠

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

ليس هذا الكتاب ترجمة للسيدة الطاهرة سكينة بنت الحسين، ولا تعريفاً بها، ولا دراسة لحياتها؛ وإنما هو دفاع عنها، وتبرئة لها مما اتهمت به في بعض كتب التاريخ والأدب من تعرُّض بعض الشعراء للتغزل بها، ومما أسند إليها من الأخبار والأحاديث مع عمر بن أبي ربيعة المخزومي وحميد بن سريج المغني، ومما نسب إليها من حضور مجالس الغناء والتحرر فيها من كل ما لا يليق إلا بالتي تعاصر به العصر الإسلامي الأول حيث الدين متين لم يداخله تميّع، ولم يفسده تجمع.

ونحن نجل أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أن تتناولهم الأغراض، وأن ينسب إليهم من مختلق الأحاديث ومزوّر الأخبار ما لا يليق ببيت رفع الله قواعده على التقوى والطهر. ونشكر الأستاذ المؤلف على توليه الدفاع عن قضية نرجو أن يكون الحق فيها غالباً. فإنه لم يستند في الدفاع إلى العاطفة وحدها أو إلى حب أهل البيت، ولكنه جعل من القضية مسألة علمية يناقشها بالدليل ويقارعها بالحجة ويناقضها بتضارب الروايات حتى يحكم على القضية كلها بالانهيار.

ولقد اتبع المؤلف في كتابه طريقة المحامين في الدفاع عن المتهمين؛ فإن اختلاف الروايات في التحقيق الجنائي اليوم قد يكون سبباً إلى سقوط الاستدلال في الاتهام..

وكذلك فعل صاحبنا الأستاذ الفكيكي في قضية السيدة سكينة؛ فأثبت من اختلاف الروايات في الخبر الواحد وإلغاء أصل الخبر كله، وتبع ذلك الفساد ثبوت البراءة للمتهمة البريئة.

ولعل كتاب اليوم هو أول دفاع مطبوع قائم بذاته عن السيدة سكينة بنت الحسين؛ فلم نقرأ في الأدب الحديث إلا إشارات إلى مجالسها الأدبية وصالونها الأدبي الذي يعدونه اليوم أول صالون في الإسلام. وبهذا سبقت هذه السيدة الطاهرة سيدات أوربا — وخاصة فرنسا — في الندوات التي خرجت كثيراً من الأدباء والشعراء في عصورها الحديثة. ولم نقرأ في الأدب الحديث إلا إشارات إلى تزعم السيدة سكينة للأزياء وطرز اللباس. فقد كانت تصفف شعرها على هيئة طرة نسبت إليها، فقيل «الطرة السكينية»، كما نقول اليوم «الطرة البارزية»، و«الصفة الأمازونية»...

ولم نقرأ في الأدب الحديث إلا اتهاماً للسيدة سكينة بأنها كانت (في مثاقيها ربة طائشة، تؤثر الخفة على الوقار، وتهوى أن تخلد حسنها في قصائد الشعراء)، كما يقول الدكتور زكي مبارك في كتابه: «حب ابن أبي ربيعة وشعره». ص ١٨١.

ولم نقرأ في تاريخ الأدب الحديث إلا اتهاماً للسيدة

سكينة بنت الحسين بأن عمر بن أبي ربيعة شبّب بها من قصيدة قال فيها :

أسكين ما ماء الفرات وطيبه
منـا على ظمـأ وحب شراب
بألذ منـك وإن نأيت وقلمـا
ترعى النسـاء أمانة الغيـاب

كما ذكر ذلك المغفور له جورجي زيدان في ج٥ ص ٢٧٦ من كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » .

ولم نقرأ في تاريخ الأدب الحديث إلا اتهاماً للسيدة سكينة بأنها (كانت ممن تغزل فيهن عمر بن أبي ربيعة ، ومن النساء اللائي كن يغرينه ويرسلن له الرسل ويهيئن له مجلساً معهن ليحدثهن ، وليقول فيهن لاهياً متغزلاً) . كما يقول الأستاذ حسان أبو رحاب في كتابه : « الغزل عند العرب » .

ولكننا لم نقرأ دفاعاً واحداً عن هذه السيدة التي انصبت عليها التهم من كل جانب ، فرماها السابقون وقذفها اللاحقون ...

• • •

لهذا كان ترحيبنا بهذا الكتاب الذي جاء دفاعاً عن مظلومة في نظر كثير من الذين يتعصبون لأهل البيت ويحبونهم ويدفعون بهم عن مثار الكلام ووقع السهام . وإذا كنا نقرأ مذكرات الدفاع عن فلان وفلان ، أفلا أحرانا أن نقرأ كتاباً رصته في الدفاع عن سيدة من بيت النبوة ، أبوها الحسين ، وجدها علي ، وجدتها فاطمة ، رضي الله عنهم أجمعين ؟ .

ولا أكتم المؤلف العراقي الفاضل أن كل دفاع مجيد ورأي سديد يحمل في ذاته دليل قوته ووجه حجته ، فلا يحتاج المدافع بعد ذلك إلى نبو في الكلام ، أو عنف في الخصام ، كما لا يحتاج إلى الخارج من العبارات ، أو غير المألوف في لغة الجدل من الكلمات . وما كان أغنى كتاب (السيدة سكينة) الذي نحن بصدده اليوم عن أمثال هذه الألفاظ : « الإسفاف المزري » و « الترهات المضحكة المبكية » و « الكلام المرذول الساقط » وما إليها من العبارات التي يحرمها القضاء في ساحات المحاكم تحريماً تاماً .

وقد كانت شخصية المتهمة الجليلة في هذه القضية الخطيرة أولى بأن يتصوّن الدفاع في التعبير ، إن لم يكن إجلالاً للحق في قداسته ، فإجلالاً لشخص المتهم في قربه وطهارته ...

ولكني أدع هذا الجانب من الدفاع ، فالمؤلف حر في أسلوب دفاعه ، لأن الغرض الأول النبيل من تبرئة السيدة المتهمة هو عنده الهدف الذي رمى إليه . وقد يكون تحمسه الشديد للقضية قد مال به إلى طريق لا تتفق وهدوء القضاء وصبر القضاة . ولكني أود أن أقف معه وقفة قصيرة ، لا حباً في المناقشة . ولكن طمعاً في تصحيح بعض أمور لم تر من الإنصاف للحق أن نخفيها ، فإن الحق قديم كما يقول عمر بن الخطاب من رسالته في القضاء .

ذكر المؤلف في صفحة ٣٠ من كتابه أن الدكتور زكي مبارك قد فاته الصواب وخانه ذاكرته فيما كتبه عن سكينة في كتابه « حب ابن أبي ربيعة » فإنه — يعني زكي مبارك — ذكر أن القصيدة التي فيها : أسكين ماء الفرات وطيبه ، قالها عمر في أعقاب سهرة أهل المدينة ليلة الصورين ، وليس ... ذكر مبارك — ذلك إلى صاحب الأغاني ، ... صاحب الأغاني لم يذكر هذا الشعر لعمر بن أبي ربيعة في ليلة الصورين ، بل ذكر له قوله :

ألم تربع بأنت الريح قد أفدا
قبل الرواح الذي كان الرحيل غدا

هذا كلام الأستاذ توفيق الفكيكي ، وهو يفهم أن الأبيات الدالية التي منها « ألم تربع » قيلت ليلة الصورين ، وأن الأبيات البائية التي منها « أسكين ماء الفرات » إلخ لم تكن ليلة الصورين ، لأن صاحب الأغاني لم يذكر ذلك .

والحق أن ليلة « الصورين » هذه قد تحيرت بين الأبيات البائية مرة ، وبين الأبيات الدالية مرة أخرى برواية صاحب الأغاني نفسه . وأن الجزء الأول من « الأغاني » الذي يستند إليه الأستاذ الفكيكي في التحقيق قد ذكر الأبيات الدالية — في رواية علي بن أبي صالح عن أبي عثمان عن إسحاق عن مصعب الزبيري — منظومة في ليلة الصورين [ص ١٠٥ من الأغاني طبع دار الكتب المصرية] . كما ذكر الأبيات البائية — بسند الرواة السابقين أنفسهم !! —

منظومة فى ليلة الصورين أيضاً ...! [ص ١٦١ ، ١٦٢ من الأغانى — الطبعة نفسها] .

فالدكتور زكى مبارك على الحق — بل على الحق كله — حينما ذكر أن الأبيات البائية قيلت فى ليلة الصورين ... ولم تخنه الذاكرة ، ولم يخنه الصواب كما يقول الأستاذ الفكيكى ، وإنما فات الأستاذ الفكيكى أن يقرأ بإحاطة كل ما يتصل بقضية السيدة الطاهرة البريئة سكينة بنت الحسين عليهما السلام .

ولعل الله أراد بهذا الفوت من الأستاذ المؤلف أن يقدم له ولنا دليلا — غير أدلته القوية — على سقوط الاتهام فى حادثة ليلة الصورين ؛ فإن رواة يتفقون على حادثة فى مكان معين كالصورين ، ثم يختلفون على ما قيل فيها من الشعر خليقة روايتهم بالحذر فى أخذها ، وخاصة إذا عرفنا أن اسم السيدة المصورة « سكينة » قد ورد فى الأبيات البائية على روايات مختلفة : ففى كتاب « أمالى القالى » الطبعة الأميرية ج ١ ص ٣١ : (أطل علماء الفرات وطيبه) . وفى ج ٢ ص ٢٤ من طبعة دار الكتب : (أسكين ... إلخ) . وفى رواية أخرى « أسعيد علماء الفرات ... » وسعيدة هنا هى سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .

وهذه الأبيات البائية مظلومة — كالسيدة سكينة — فى ورودها على أكثر من سيدة عربية واحدة . ولا أدرى السر فى أن تكون هذه السيدة تارة « سكينة » وتارة « علية » وتارة أخرى « سعدى » .

ولقد أدرك هذا الخلط الذى هو دائماً فى مصلحة المتهم جماعة من المحققين كالمرحوم الشنقيطى فى شرحه « لأمالى الزجاج » حيث علق على رواية « سكينة » و « وسكين » قائلا إن الرواية الصحيحة « سعيدة » و « سعيد » وهى تصغير سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف . وقد أخذ الشنقيطى هذا التصحيح عن الأصفهانى فى الأغانى ج ١٦ ص ١١٢ .

وبهذه المناسبة ذكر الأستاذ الفكيكى فى ص ١٨ أن أبا إسحاق الحصرى صاحب كتاب « زهر الآداب » قال بعد أن روى الأبيات البائية على رواية « سكينة » و « وسكين » : (كذب من روى هذا الشعر فى سكينة عليها السلام) . وقد أحالنا المؤلف على ج ١ ص ١٠١ من كتاب زهر الآداب . والذى فى الطبعة المصرية الرحمانية لهذا الكتاب ج ١ ص ٤٨ قول الحصرى : (وفى سكينة يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى كذبا عليها) . وفرق كبير بين هذا القول وبين ما ذكره الأستاذ الفكيكى منسوباً إلى الحصرى . فإن الأول معناه أن من يروون هذه الأبيات فى سكينة كاذبون ؛ والثانى معناه أن الأبيات قالها عمر ، وقالها فعلاً فى السيدة سكينة ولكنه قالها فيها افتراء عليها كذب كاذب ... وشتان بين القولين وبين النصين ... فهذا الذى أوردناه عن نسختنا المطبوعة من زهر الآداب .. أم النص الذى أورده الأستاذ الفكيكى عن نسخة أخرى مطبوعة لهذا الكتاب ؟

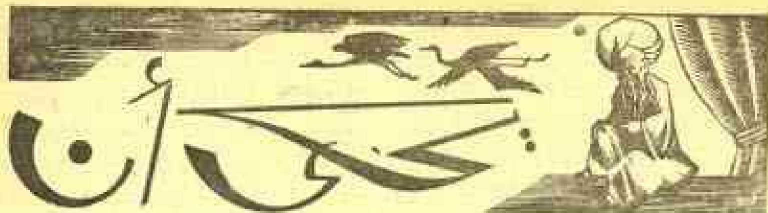
وبمناسبة الاختلاف فى النصوص التى يوردها المؤلف ألفت نظرى فى الكتاب ظاهرة خطيرة .. وهى إيراد آيات القرآن الكريم محرفة عن مواضعها ... ولو كان ذلك من أخطاء الطبع — أو مما يؤول فيه الخطأ المطبعى — لالتمسنا للمؤلف عذراً . ولكن ما باله — غفر الله له — يأتينا بقرآن من عنده لأنه ليس كالمحفوظ ولا وحياً ... والله تعالى يقول : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ...

وإلا فما بال المؤلف ينسب لله تعالى هذه الآية : (قل للمؤمنات إن أردتن أن لا يخرجن تبرج الجاهلية الأولى) . والذى نحفظه ونعرفه فى المصحف الذى بين أيدينا قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) آية رقم ٣٣ . وما بال المؤلف — سامحه الله — ينسب إلى الله هذه الآية (.... إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ألا تصيبوا قوماً بجهالة) . والذى نحفظه ونتعبد به فى كلام الله الذى بين أيدينا قوله تعالى : (.. إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) . سورة الحجرات آية رقم ٦ . وما بال المؤلف — قوى الله ذاكرته — لو جاز الاعتماد فى القرآن على الذاكرة — ... ما باله يذكر الآية الكريمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هكذا : يريد الله أن يذهب ... إلخ) ؟ أنظر سورة الأحزاب آية ٣٣ .

سبحانك اللهم ! أهى أقوى آية قرآنية وحجة صاعقة فى الدفاع عن أهل البيت ، يحرفها مدافع عن أهل البيت .. !

ولكن الله يجزيه أحسن الجزاء بما دافع وبما أورده من صحيح ثروة لا نذكرها هنا رغبة فى قراءة هذا السفر النفيس.

محمد عبد الغنى حسن



أوليفـــر تويست

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

هي قصة ألفها تشارلس ديكنز عام ١٨٣٨ ، وندد فيها بالمصير السيء الذي يلقاه الأطفال اللقطاء في الملاجئ ، حيث يعانون الجوع والفاقة ، فإذا ماتوا دفنوا في قبور حقيرة .

وفيها يصف ديكنز مدينة الملاجئ بأنها مستنقع اللصوص والهاربين حيث يؤخذ بنواصي أولئك الذين يسلكون طريق الجريمة عمداً ، مدفوعين إلى ذلك بالحياة السيئة التي يحيونها من صغرهم في عالم الجريمة .

ثم يحول ديكنز في نسيج القصة شخصية ... من هو أخس حالاً من أولئك الهاربين ... يريد أن في كل طبقة من طبقات الناس رجالاً ... يستطيعون أن يوجهوا الآخرين فيصعدوا بهم إلى مراقي الفضيلة ، أو يهووا بهم إلى الدرك الأسفل من الرذيلة .

ويقول ديكنز إن الغرض الذي رمى إليه بتأليف هذه القصة هو أن يصور الجريمة في أبشع صورة من الصدق الشنيع .

قال الكاتب :

في إحدى البنايات العامة في مدينة من المدن قام ملجأ من الملاجئ ، وفي هذا الملجأ ولد الصبي الذي عرفت به هذه القصة ، إذ وجدت أمه يوماً ملقاة إلى جانب جداره ، وقد أضناها الجهد والتعب ، وقد أبلى حذاءها السير الشاق الطويل ؛ وفي اليوم التالي وضعت طفلها « أوليفر » ، ثم ماتت مجهولة الاسم واللقب .

وألحق اليتيم بفرع من فروع هذا الملجأ يقوم على مسافة ثلاثة أميال ، حيث قضى تسع سنين ، لم يلق فيها شيئاً من العناية والرعاية ، وكان طعامه فيها الماء والفت بلا إدام حتى تولاه السقم والشحوب .

وفي يوم ذكرى ميلاده التاسع جاء « مستر بمبل » ناظر الكنيسة ليسترد الطفل الذي سماه « Oliver Twist » وهو يقول إننا نسمي لقطاءنا وفقاً للترتيب الأبجدي ! فالذي قبله سميناه « Swabble » وسوف نسمي الذي يجيء بعده باسم « unwin » .

وشرع المسكين « أوليفر » يجمع نسالة الحبال لينفذ أوامر ... ، وكان له ولكل صبي من أمثاله ثلاث وجبات من العصيدة بغير زبد .

فلما أمض الغلمة الجوع ألقوا سهامهم ، أيهم يتقدم لسائليهم بطلب مزيداً من الطعام ، ثم اختير « أوليفر » فتقدم والصحفة في يده وقال : إننا نريد يا سيدي مزيداً من الطعام ، فذعر الرجل وأمسك بالصبي وتقدم به إلى مجلس إدارة الملجأ الذي عرض خمسة من الجنيهات جزاء لمن يزيحه عن كاهلهم ، فالتقطه حفار القبور « مستر سوربري » واتخذه صبياً مساعداً ، وكان لا يقسو عليه في المعاملة ، ولكن « أوليفر » كان يعمل تحت رحمة « نوح كلايبول » زميله في المهنة .

واضطر « أوليفر » آخر الأمر إلى أن يجرد ذراعيه يوم سمع « نوح » يذكر أمه بالسوء .

ولقي في طريقه الجوع والتعب حتى صادفه صبي في مثل سنه (جاك دوكنس المراوغ الأحيل) فكان يطعمه ، وكان هو الذي قاده إلى بيت من بيوت السوء يديره رجل يهودي قد تقوست قناته ، ووهن عظمه ، واسمه « فاجين » .

وهناك لقي كثيراً من الصبية ، وهناك جادوا له بطعام وفراش .

وفي اليوم التالي أخذ اللص الرواغ الأحيل يشاركه صبياً آخر اسمه (شارلي بيتس) لعبة تقوم على نشل ساعة ، وصندوق نشوق ، وحافظة نقود ، من جيوب اليهودي (فاجن) ، وكان هذا يمثل دور رجل ينظر إلى معروضات الدكاكين ، فشاركهم في لعبتهم هذه « أوليفر » ، وبعد أيام تقدم هو بالرجاء في أن يسمح له بأن يعمل عمل الصبية الآخرين .

وقبل (فاجن) آخر الأمر ، وأمر به أن يخرج في صحبة « شارلي » و « الرواغ » ، ودهش « أوليفر » ساعة أن رأى الصبية يسرقون منديلاً من سيد هرم أمام إحدى المكتبات ، وفي لحظة واحدة عرف كل شيء ، وتولاه الارتباك ، فجرى فلحق به الناس وأمسكوه ، في حين أن الآخرين كانوا قد ولوا هاربين .

ثم قدم للمحاكمة فلما رآه القاضي أشفق به السيد الهرم الذي سرق منديله واسمه « مستر براونلو » إذ رآه مريضاً مشفياً ، فذهب به إلى بيته حيث مرض ، وحيث لقي الرعاية والعطف ، فكان هانئاً سعيداً .

وقبل أن يعرف هذا الرجل المحسن قصة الفتى كان هذا قد خرج لقضاء مهمة ، فلقيته في الطريق (نانسي) وهي فتاة من أعوان (فاجن) فأمسكت به ، وسارت به إلى قومها ليكون سجينهم ، وعقد (فاجن) العزم على أن يلفق لأوليفر تهمة من التهم ، فأرسل الصبي إلى (بل سيكس) ، وهو حبيب الفتاة وصاحب ودها ، وهو لص يقتحم المنازل للسرقة ، فأخذ هو وشريكه في الجريمة (توبي كراكيت) بيد الصبي وجعلاه يقتحم النافذة في منزل من المنازل ، ولكنهما أخطآ في حسابهما فلم تنجح الخطة وأخفق التدبير فاضطرا إلى الفرار ، وأطلق الرصاص على « أوليفر » فبقي في مكانه ، ثم سار يزحف زحفاً إلى داخل البيت الذي كان يراد به أن يسرق ، وهناك لقي صاحبتي البيت (مسز مايلي) وابنة أختها (روز) اللتين كانتا لا تستطيعان أن تصدقا أن يكون هذا الصبي لصاً مجرماً ، فأكرمتا مثواه ، ولقي منهما رعاية وحباً ، ولو أنه قد دهش يوماً لما رأى (فاجن) وفي صحبته فتى أسود ، يبدو الخبث في عينيه ، وهما ينظران إليه ، ثم غابا عن الأنظار فلم يرهما أحد من بعد .

وفي تلك الأثناء كانت (مسز كورني) رئيسة العاملات في ذلك الملجأ الذي ولد به « أوليفر » قد دعيت لترى امرأة عجوزاً تحتضر ، وتلك العجوز كانت قد أعانت أمه أثناء ولادته ، فأعطت رئيسة العاملات ورقة لتسترد بموجبها خاتماً مرهوناً مكتوباً عليه اسم Agnes وميدالية كانت العجوز قد سرقتها من والدة الطفل بعد أن فارقت الحياة .

ثم تزوج شماس الكنيسة (مستر بمبل) بمسز كورني رئيسة العاملات ، وجاءهما ذات ليلة رجل اسمه مستر منكس وهو الرجل الشرير الذي رآه « أوليفر » ذات يوم مع (فاجن) واسترد الرجل الخاتم والميدالية لقاء خمسة وعشرين جنيهاً ثم رآه (مستر بمبل) يقذف بهما في البحر .

وسمعت (نانسي) ذلك الشرير (منكس) وهو يعرض مالاً على (فاجن) ليجعل من « أوليفر » لصاً سارقاً ، فأحيا هذا القول منها مكان الضمير الذي أماتته حياة الجريمة التي عاشتها .

وعلمت من (منكس) أن « أوليفر » أخوه الصغير ، وأقسم ليمحقن الأثر ، فخاطرت الفتاة (نانسي) مخاطرة كبرى بأن نقلت هذا النبأ إلى (روز) التي كانت في لندن ، ولم تقبل لقاء ذلك أجراً .

التقى « أوليفر » ومستر « براونلو » و « روز » في لندن ، وهناك قصت « روز » على مستر « براونلو » ما سمعته من « نانسي » ، وأجمعوا على أن يتحروا عن أهل الولد ، وأن يردوا إليه ما يستحقه من ميراث ، فوضعوا الخطة مستعينين بآخرين على أن يوقعوا (منكس) في الفخ ، وبدأوا بتنفيذ خطتهم بأن تقصوا أثر الفتاة (نانسي) وهي عائدة بعد زيارة أخرى لها « لروز » .

وكتب على كثيرين من أعوان اليهودي (فاجن) أن يلاقوا جزاءهم فقتلوا ، ثم أخذ (فاجن) فشنق جزاء له على سرقاته .

ووقع واحد ممن بقي منهم وهو (منكس) أسيراً بين يدي (مستر براونلو) الذي عرف أنه هو بعينه (ادوارد ليفرد) ابن أعز صديق له . فلما ووجه هذا بما جمعه أنصار

الصبي « أوليفر » من أدلة وقرائن ، ولم يكتمون سره ، واعترف اعترافاً كاملاً فقال : إن أباه وأمه كان قد دب بينهما الخلف والفرقة وسافرت أمه إلى أوربا وصحبته معها ، وهناك لقي قرناء السوء فسار سيرتهم . وكان أبوه قد جاء إلى روما في عمل من الأعمال وهناك انتابته العلة ، وقد ترك خطاباً إلى امرأة شابة كان قد اعتدى عليها يطلب إليها أن تغفر له خطيئته . وترك كذلك وصية أوصى فيها بأن يكون نصف ما ترك لولده (ادوارد) والنصف الآخر للطفل الذي ترزق به (Agnes Fleming) وترك خطاباً يشترط فيه إن كان المولود ولداً أن يحرم من نصيبه من الميراث إذا سار سيرة أهل السوء فألحق باسم أبيه العار .

وعرفت والدة (ادوارد) الوصية واستبقت الخطاب . أما والدة « أوليفر » وهي (Agnes Fleming) فكانت قد غادرت بيتها وماتت كما حدثتنا القصة ، وتركت أختاً صغيرة تعاني مرارة اليتم ! فقام بتربيتها بعض الناس من الفقراء . ولكن والدة (ادوارد) تولت إثارة حنقهم وكرههم للطفلة ، قائلة لهم إنها طفلة غير شرعية ، فتركت الطفلة سيدة أرملة فأشفقت عليها وأخذتها إلى بيتها ، وهذه الطفلة هي (روز) التي تُعرف الآن أنها خالة « أوليفر » . ورأت « مسز ليفورد » الطفل « أوليفر » فعرفته من ملامحه . وبينما كانت ترشو (فاجن) بالمال ليتمكن الطفل لتنشئة منحرفة فاسدة ، كانت كذلك تعمل جاهدة على أن تمحو كل دليل يدل على شخصية الطفل .

وبقي من ميراث أبي (أوليفر) ٦٠٠٠ جنيه أخذ منها النصف وسمح لادوارد أن يذهب إلى الدنيا الجديدة بالنصف الآخر حيث لقي الموت في السجن .

ثم تبنى (مستر براونلو) أوليفر واتخذه له ولداً ، وتزوجت (روز) خالة « أوليفر » من (هاري) وقد أصبح قسيساً .

وحرم مستر (بمبل) وزوجته من وظيفتهما ، وأصبحا من اللاجئين في ذلك الملجأ الذي كانا فيه السيدين الآمرين ...

(عن الإنجليزية) مبارك إبراهيم

قصائد فى أبيات ...

مهداة إلى الصديق الشاعر الأستاذ أحمد أحمد العجمي صاحب ديوان « قصائد فى أبيات »

صمت دخيل ...

عجبتُ لها أنى قصيرٌ حديثها
وتهوى به فى التافهات يطولُ !
فإمّا لضجرٍ أو لتدبير حيلةٍ
وصمتُ التوانى – إن صمتُ – دخيل

●●●

لــــداء ؟؟

أليس فى مقلتيها ومقلتىّ ... نداء !
فكيف نشقى انتظاراً ولا يكونُ اللقاء ؟؟

●●●

بعد عام !

بعد عام كان عندى ألفُ عام
سألتنى : هــل تناسيتَ الغرامْ ؟
قلتُ : كلا يا فتاتى إننى
مهجةٌ تشقى ... وعينٌ لا تنام !
أنا من دهرىَ فى نار ، وفى
ذكر أيامكِ بردٌ وسلام

●●●

فى مليح ...!

وأنشدتُه شعرى فصفق معجباً
وقال لعمر الحق هذا هو الشعرُ
مليحٌ يغــارُ الظبى من نظراته
ويخجل من إشراقه الشمس والبدر
فقلتُ له لولاك أمست قصائدى
عبارة يأس عافها الأمل البكر !
أيعلم أنى فى حياتى معذبٌ
وأن هواه فى ظلامى هو الفجر ؟؟

●●●

قلوب وجيوب !!

صار عشقى والله فى هذه الدنـ
ـيا وشأنُ الحياة جدُّ عجيب !!
فقلوبٌ تحيا بغير جيوب
وجيوب تحيا بغير قلوب !!

●●●

دم الود والقربى ..!!

[illegible] الناس طرّاً لم أجد
أحدٌ حقوناً من دم الود والقربى
هم أوسعونى غلظةً وشماتةً
وقد كنت قبل اليوم أوسعهم حبا !
وكنت سلاماً عامراً فى ربوعهم
فيا ضيعا ... أمسوا على منيق حربا !!
إذا خذل الخلق الوفىّ وأوغلوا
فحسبُ الوفى الحر أن له ربّا ...

محمد سعودى مصطفى



مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر